للدكتور مصطفى محمود

محاولة لفهم عصري -القرآن

مقدمة

مازال القرآن كتاب المسلمين المعجزة يتحدى العقول بعد ألف و أربعمائة عام من نزوله و كأنه نزل و بين دفتيه سوف يفاجأ ..اليوم ليتحدث عن علوم اليوم و شواغل اليوم و أسرار اليوم و حروب اليوم كل شغوف بعلوم الفلك و الطبيعة و الجيولوجيا و الطب و التشريح و الحياة بلمحات من هذه العلوم و بالجديد في علوم الباطن و النفس و الروح و ما وراء الطبيعة و بالجديد في عوالم الغيب و خفايا .و بالجديد و المبهر في الأخلاق و الدستور و الشرائع و الأديان ..الزمن و المكان و المادة

و قد ظل علماء الفلك يتحدثون عن سبعة كواكب تدور حول الشمس حتى نزلت آيات القرآن تتحدث :عن أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر في سورة يوسف

(((4)إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)) [يوسف]

و نعلم اليوم أن التلسكوبات الفلكية رصدت بالفعل أحد عشر كوكبا تدور مع الأرض و القمر على .و هو أمر جديد تماما لم يعرف إلا قريبا ..أبعاد شاسعة متفاوتة حول الشمس

و لم يكن أحد من العرب القدامى أيام الجاهلية يعلم شيئا عن البصمة المرسومة على طرف البنان و فإذا بكل ..التي ينفرد بها كل مولود لتدل على شخصيته التي لا يشاركه فيها مخلوق حتى أخيه التوأم فيقول ربنا في قرآنه المجيد عن يوم البعث الذي كان يشك فيه ..إنسان له بصمته التي ينفرد بها و ..الجاهليون إن يوم القيامة سوف تقوم الأجساد من قبورها و سوف يعود الموتى إلى سالف هيئتهم :يقول لهذا الجاهلي الذي يشك في البعث

[القيامة] (((4)بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (3)أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ))

و يخص البنان بالتسوية لأنه الحامل للبصمة المعجزة الدالة على شخصيته المتفردة التي لا تتكرر و .التي سوف تعود إليه يوم البعث

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و لم يكن يعلم العرب و لا ..لم يكونوا يعلمون ..هل كان العرب الأوائل يعلمون شيئا عن هذا ؟ فنزلت كلمات القرآن قبل ألف و أربعمائة ..الفرنجة في أوروبا و لا في أمريكا شيئا عن هذه البصمة سنة لتعلن عنها.

كانت البصمة التي على البنان إعلاما قرآنيا بحتا.

هل كان علماء الأرض حينذاك يعلمون أن كل جبل له جذر ممتد تحت الأرض أكثر منه غلظة كالوتد و أن هذه الجبال موزعة على محيط الأرض بشكل .. [النبأ] (((7)وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا))ليزيده ثباتا و هذه قضية معلومة الآن في الميكانيكا و ..محسوب، و مقدر كثقالات ليكون دوران الأرض منتظما إن هذه الثقالات الدائرة على الأطراف هي التي تنظم الحركة و تجعل الحركة منسابة غير ..الحركة قلقة.

[الحديد] (((25) ..وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ))

و كان ذلك بعملية تعدين سماوي خاص ..و تلك مفاجأة قرآنية أخرى، فقد جاءنا الحديد من السماء و نعلم الآن أن ذلك يحدث بالفعل عن طريق انفجار النجوم ..هكذا يقول القرآن ..لعنصر الحديد و بسبب شدة حرارتها فإنها تقذف إلى الأرض بدقائق ذرية (السوبر نوفا)المستعرة شديدة الحرارة مكهربة كالسهام تخترق الأرض و تصل إلى معادنها الباطنة و بفعل طاقتها الانفجارية الزائدة تؤدي إلى خلق الحديد بذراته المتدامجة المتماسكة شديدة الصلابة التي نعرفها، فيعاد إنشاء جزيئات الحديد على هذه الصورة الصلبة المتدامجة.

جاء الحديد الذي نعرفه بصلابته إذن بحقن سماوي للخام الأصلي في باطن الأرض و بفعل سماوي فهو مصنوع بإرادة ربانية و عناية خاصة ليكتسب هذه ..فوقي للنجوم المستعرة و بتعدين رباني و لماذا ..دبابات و مجنزرات و سيوفا و دروعا و أسلحة قتالية فتاكة ..الصلابة الفائقة لتكون فيما بعد إنه الامتحان لإيمان المؤمن و ..حدث هذا الترتيب و التدبير؟ ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب صلابته و ثباته في الحروب و لدحر الكفار و هزيمتهم.

عبر (الجينيوم البشري)يعلن عن اكتشاف (كلينتون)و قد عشنا و سمعنا الرئيس الأمريكي الذي يتألف من ثلاثة مليارات حرف (الجينيوم)الإذاعات للعالم كله و يعلن عن فض رموز هذا كيميائي و هو ما يملأ خمسة ملايين صفحة مدونة و كل هذا في حيز صغير متناهي الصغر في نواة تحتوي على مقدرات هذا المخلوق الإنساني و صفاته البدنية و (بضعة أجزاء من المللي)الخلية و ..حظه من الصحة و المرض و القوة و الضعف و مواهبه و ملكاته و ما سيجري عليه من أحوال معلومات تملأ ..كل هذا مدون بالتفصيل في مخطوطة شاملة لا تكاد ترى إلا بميكرسكوب إلكتروني ..خمسة ملايين صفحة في حيز متناه في الدقة لا يُرى

إلا الخالق جل ..و من الذي استطاع أن يدون هذه المخطوطة و بأي قلم و في مثل هذا الحيز الخرافي :و صدق القرآن العظيم ..جلاله

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا)) أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن (172)أن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ الأعراف] (((174)وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (173)بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [

.هذا إشهاد صريح و مفصل ..((و أشهدهم على أنفسهم))

الجينيوم)الإلهي الذي اسمه (المانفستو)كما يحكي عن هذا ..و الله يروي في قرآنه عملية الإشهاد و كيف أن كل مولود جاء و معه قصته و حكايته من الأزل مكتوبة في خلاياه و مسطورة ..(البشري ..في جيناته

ثم ما حدث في هذا القرن من الزمان من إشهاد العالم كله على أصل الحكاية و بلسان أكبر زعيم .(كلينتون)هو الرئيس الأمريكي ..لأكبر دولة

!؟..و من أودعها في هذه الحروف الكيمائية !؟..من كتبها ..تلك الجينات

فقد اشتركت الدنيا ..و الإشهاد بهذا المفهوم الجديد أوسع و أشمل مما جاء في كتب التفسير القديمة كلها في هذه المظاهرة الشهودية و كانت حديث الساعة و موضوع التفاخر و الاستعلاء بالنسبة ..مع أنه حجة عليهم و ليس حجة لهم ..و قد اتخذوا منه حجة على موقفهم من الدين ..لعلماء الغرب و لا مفر و لا معدى و لا مهرب من القول إن الذي كتب هو ..فهذا كتاب لا يمكن أن يكتبه مخلوق الذي خلق لأن الكتابة جاءت في صميم الخلقة و في الحشوة المخلوقة ذاتها و بالحروف الكيمائية .لنفس المخلوق و هو عمل معجز لا يقدر عليه إلا الخالق الذي خلق

كان هذا اليوم يوم إشهاد عالمي على عظمة القرآن و شموله و إحاطته و إعجازه و خلود آياته و و هذه ما حدث بالفعل، فقد شهد ..((و أشهدهم على أنفسهم)) ..قدرته على الحضور في كل عصر و مازالت الأيام تأتي بما يؤكد روعة (الجينيوم البشري)العالم كله من أدناه إلى أقصاه حكاية هذا .هذا الكتاب و إعجازه و استباقه لما حدث و يحدث بطول أربعة عشر قرنا من الزمان

و نخطوها خطوة خطوة من ..و أفضل أن نأخذها على مهل ..و رحلتنا مع القرآن تبدأ و لا تنتهي من أول لقاء مع الحروف و الكلمات القرآنية و هي تقرع السمع و تتسلل إلى الوجدان و ..البداية تنداح في القلب و تستقر في الأرواح لتؤلف في النهاية هذا الإحساس الغامر بالجمال و الجلال و .و من وراء الغيب ..الرهبة و بأن هذا الكلام يأتينا من فوق سبع سماوات

و الذي يصدر في طبعة ..(القرآن محاولة لفهم عصري) ..و موعدنا مع الطبعة الجديدة من كتاب .و لا ينتهي في الحب كلام ..خاصة من كتاب مايو

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المعمار القرآني

و كان أول لقاء لي مع القرآن و أنا في الرابعة من العمر طفلا أجلس في صف بين عدة صفوف في أحملق في بلاهة إلى سبورة و إلى مؤشر يتحرك في يد الشيخ على كلمات (محمود)كتاب الشيخ و الضحى)) ..فنردد خلفه في آلية ..((و الضحى و الليل إذا سجى)) ..منقوشة بالطباشير و هو يتلو و لكننا نردد ..و لا نعلم ما الضحى و لا كيف سجى ..لا نفهم من الكلام حرفا ..((و الليل إذا سجى .مجرد مقاطع و مخارج حروف

و كان عقلي آنذاك صفحة بيضاء نقية لم يكتب عليها شيء، و لم تتلق تأثيرا تربويا خاصا، فقد نشأت يحب ما يحب، و يكره ما يكره، و يلعب حتى يشبع لعبا، و ..في أسرة كل فرد فيها متروك لحاله و كان الصفر بالقلم الأحمر ..أذكر أني رسبت في السنة الأولى ثلاث سنوات دون أن أتلقى تعنيفا و كانوا إذا سألوني ماذا أخذت .يزين كل صفحة من كراساتي مرة بعد مرة فلا يثير إلا الضحك اليوم، كنت أقول اختصارا للمهزلة و حتى لا أعود إلى شرح حكاية الصفر اليومي التي أصبحت .و كانوا يضحكون ..زي العادة ..كنت أقول ..بالنسبة لي مملة

و ..و إنما لكل حياته ..هكذا كانت تجري الأمور في بيتنا، لا إرغام على مذاكرة و لا قهر على تدين .على كل تبعته

لم نعرف غسيل المخ الذي عرفه كثير من الأطفال في أسر متزمتة تحشر العلم و الدين حشرا في .عقول أطفالها بالكرباج و العصا

كنت إذن أتلقى أول عبارة من القرآن بذهن أبيض تماما و دون تأثير مسبق مثلما أتلقى دروس .الحساب و الجغرافيا و الإنشاء

و كما بهرتني حكاية الكرة الأرضية المدورة و القارات كالجزر سابحة فيها، و كما بهرتني حكاية و الكل معلق في السماء، كذلك فعل بي القرآن ..القمر يدور حول الأرض، و الأرض حول الشمس .شيئا

.و أحار في وصف الشعور الذي تلقيت به أول عبارة من القرآن

و كيف كانت الكلمات تعود من ..و لا أجد الكلمات لتشرح هذا النوع من الاستقبال النفسي الغامض و الضحى و الليل إذا)) ..تلقاء نفسها فتراود سمعي و ذاكرتي و أنا وحدي فأراني أردد بلا صوت .((سجى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و جاء)) :و تقتحم علي العبارة القرآنية سكون طفولتي فأتذكر في ظلام الليل إلقاء الشيخ و هو يردد ((من أقصى المدينة رجلٌ يسعى.

تسعى العبارة إلى خيالي و كأنها مخلوق حي مستقل له حياته الخاصة.

و لا من هو الرجل الذي جاء من أقصى ..و قطعا أنا لم أكن أعلم ما الضحى و لا كيف سجى الليل المدينة يسعى.

..(صول لا سي دو ري مي فا) ..و لعل المقاطع كانت تتردد في سمعي أشبه بمقاطع سلم موسيقي مجرد نغم و مازورات موسيقية و ..مجرد حروف لا معنى لها و لا وقع سوى مدلولها الموسيقي إيقاع يطرب الوجدان.

لقد اكتشفت منذ تلك الطفولة البعيدة دون أن أدري حكاية الموسيقى الداخلية الباطنة في العبارة ..نعم القرآنية.

إنه ليس بالشعر و لا بالنثر و لا بالكلام المسجوع ..و هذا سر من أعمق الأسرار في التركيب القرآني .و إنما هو معمار خاص من الألفاظ صفت بطريقة تكشف عن الموسيقى الباطنة فيها ..

.و فرق كبير بين الموسيقى الباطنة و الموسيقى الظاهرة

البيت الذي ينشد ..اشتهر بالموسيقى في شعره (عمر بن أبي ربيعة)و كمثل نأخذ بيتا لشاعر مثل فيه:

قال لي صاحبي ليعلم ما بي أتحب القتول أخت الرباب

و لكن الموسيقى هنا خارجية صنعها الشاعر بتشطير ..أنت تسمع و تطرب و تهتز على الموسيقى الكلام في أشطار متساوية ثم تقفيل كل عبارة تقفيلا واحدا على الباء الممدودة.

و من البحر ..(القافية)من التقفيلات .الموسيقى تصل إلى أذنك من خارج العبارة و ليس من داخلها أما حينما تتلو ..و الوزن:

[الضحى] (((2)وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (1)وَالضُّحَى))

و هي بالتالي تخلو من التقفية و الوزن و التشطير، و مع ذلك فالموسيقى ..فأنت أمام شطرة واحدة من أين ؟ و كيف ؟ ..تقطر من كل حرف فيها

.هذه هي الموسيقى الداخلية

.الموسيقى الباطنة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.سر من أسرار المعمار القرآني لا يشاركه فيه أي تركيب أدبي

:و كذلك حينما تقول

[طه] (((5)الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))

:و حينما تتلو كلمات زكريا لربه

[مريم] (((4)قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا))

:أو كلمة الله لموسى

[طه] (((15)إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى))

:أو كلمته تعالى و هو يتوعد المجرمين

[طه] (((74)إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى))

كل عبارة بنيان موسيقي قائم بذاته تنبع فيه الموسيقى من داخل الكلمات و من ورائها و من بينها .بطريقة محيرة لا تدري كيف تتم

:المذهل (السيمفوني)و حينما يروي القرآن حكاية موسى بذلك الأسلوب

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى))
(79)وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (78)فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (77)
[طه] ((

.بمعنى لا تخاف إدراكاً ((دركاً))أو لا تخاف ((يبساً))كلمات في غاية الرقة مثل

إن الكلمات تذوب في يد خالقها و تصطف و تتراص في معمار و رصف موسيقي فريد هو نسيج .وحده بين كل ما كتب بالعربية سابقا و لاحقا

لا شبه بينه و بين الشعر الجاهلي، و لا بينه و بين الشعر و النثر المتأخر، و لا محاولة واحدة للتقليد .حفظها لنا التاريخ برغم كثرة الأعداء الذين أرادوا الكيد للقرآن

و كأنها ظاهرة بلا تبرير و لا ..في كل هذا الزحام تبرز العبارة القرآنية منفردة بخصائصها تماما .تفسير سوى أن لها مصدرا آخر غير ما نعرف

:اسمع هذا الإيقاع المنغم الجميل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(((15)رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ))
[غافر]

[الأنعام] (((95)فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ))

[الأنعام] (((96) ..فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا))

[غافر] (((19)يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ))

[الأنعام] (((103) ..لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ))

[الأعراف] (((89) ..وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا))

العميقة في معناها و دلالتها على العجز عن إدراك ..ثم هذه العبارة الجديدة في تكوينها و صياغتها
:كنه الخالق

[الرعد] (((9)عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ))

[الرعد] (((13)يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ))

:ثم هذا الاستطراد في وصف القدرة الإلهية

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ))
وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا (59)حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ
إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ
[الأنعام] (((59)وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

و لكن الموسيقى الباطنية ليست هي كل ما انفردت به العبارة القرآنية، و إنما مع الموسيقى صفة
.أخرى هي الجلال

و في العبارة البسيطة المقتضبة التي روى بها الله نهاية قصة الطوفان تستطيع أن تلمس ذلك الشيء
وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء)) :في الألفاظ ((الجليل)) ((الهائل))
[هود] (((44) ..وَقُضِيَ الأَمْرُ

سكون، ..تنزل فإذا كل شيء، صمت ..كل لفظ له ثقل الجبال و وقع الرعود ..تلك اللمسات الهائلة
:هدوء، و قد كفت الطبيعة عن الغضب و وصلت القصة إلى ختامها

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ))
[هود] (((44)بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إنك لتشعر بشيء غير بشري تماما في هذه الألفاظ الهائلة الجليلة المنحوتة من صخر صوان و كأن كل حرف فيها جبل الألب.

لا يمكنك أن تغير حرفا، أو تستبدل كلمة بأخرى، أو تؤلف جملة مكان جملة، تعطي نفس الإيقاع و و حاول و جرب لنفسك في هذه العبارة البسيطة ذات الكلمات ..النغم و الحركة و الثقل و الدلالة العشر أن تغير حرفا أو تستبدل كلمة بكلمة.

و لهذا وقعت العبارة القرآنية على آذان عرب الجاهلية الذين عشقوا الفصاحة و البلاغة وقع الصاعقة .

و لم يكن مستغربا من جاهلي مثل الوليد بن المغيرة عاش و مات على كفره أن يذهل، و ألا يستطيع و قد اعتبره من كلام محمد :أن يكتم إعجابه بالقرآن، برغم كفره فيقول:

و الله إن لقوله لحلاوة، و إن عليه لطلاوة، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق و إنه ليعلو و لا (يعلى عليه).

و لما طلبوا منه أن يسبه قال:

قولوا ساحر جاء بقول يفرق به بين المرء و أبيه، و بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته، و (بين المرء و عشيرته).

إنه السحر حتى على لسان العدو الذي يبحث عن كلمة يسبه بها.

و إذا كانت العبارة القرآنية لا تقع على آذاننا اليوم موقع السحر و العجب و الذهول، فالسبب هو التعود و الألفة و المعايشة منذ الطفولة و البلادة و الإغراق في عامية مبتذلة أبعدتنا عن أصول لغتنا ثم أسلوب الأداء الرتيب الممل الذي نسمعه من مرتلين محترفين يكررون السورة من أولها إلى .. آخرها بنبرة واحدة لا يختلف فيها موقف الحزن من موقف الفرح من موقف الوعيد من موقف و بالمثل بعض ..نبرة واحدة رتيبة تموت فيها المعاني و تتسطح العبارات .البشرى من موقف العبرة ثم المناسبات الكثيرة ..دون أن ينبض شيء في قلبه (اللعلعة)المشايخ ممن يقرأ القرآن على سبيل ثم الحياة العصرية التي تعددت فيها المشاغل و توزع الانتباه و تحجر ..التي يُقرأ القرآن فيها روتينيا القلب و تعقدت النفوس و صدأت الأرواح.

و برغم هذا كله فإن لحظة صفاء ينزع الواحد فيها نفسه من هذه البيئة اللزجة و يرتد فيها طفلا بكرا و ترتد له نفسه على شفافيتها، كفيلة بأن تعيد إليه ذلك الطعم الفريد و النكهة المذهلة و الإيقاع و كفيلة بأن توقفه مذهولا من جديد بعد قرابة ألف و أربعمائة سنة من ..المطرب الجميل في القرآن نزول هذه الآيات و كأنها تنزل عليه لساعتها و توها.

اسمع القرآن يصف العلاقة الجنسية بين رجل و امرأة بأسلوب رفيع و بكلمة رقيقة مهذبة فريدة لا تجد لها مثيلا و لا بديلا في أي لغة:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[الأعراف] (((189) ..فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا))

.تغشاها رجلها ..((تغشاها))هذه الكلمة

أن يمتزج الذكر و الأنثى كما يمتزج ظلان و كما يغشى الليل النهار و كما تذوب الألوان بعضها في .بعض، هذا اللفظ العجيب الذي يعبر به القرآن عن التداخل الكامل بين اثنين هو ذروة في التعبير

و ألفاظ أخرى تقرؤها في القرآن فتترك في السمع رنيناً و أصداءً و صوراً حينما يقسم الله بالليل و :النهار فيقول

[التكوير] (((18)وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (17)وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ))

.هذه الحروف الأربعة هي الليل مصورا بكل ما فيه ..((عسعس))

إنك تكاد تسمع زقزقة العصفور و ..إن ضوء الفجر هنا مرئي و مسموع ((و الصبح إذا تنفس)) .صيحة الديك

و ترى المعمار القرآني ..فإذا كانت الآيات نذير الغضب و إعلان العقاب، فإنك تسمع الألفاظ تتفجر سَخَّرَهَا (6)وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)) :اسمع ما يقول الله عن قوم عاد .كله له جلجلة (((7)عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [الحاقة]

إن الآيات كلها تصر فيها الرياح و تسمع فيها اصطفاق الخيام و أعجاز النخل الخاوي و صورة .الأرض الخراب

و الصور القرآنية كلها تجدها مرسومة بهذه اللمسات السريعة و الظلال المحكمة و الألفاظ التي لها .جرس و صوت و صورة

.و لهذه الأسباب مجتمعة كان القرآن كتابا لا يترجم

(2) ..إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)) :أما في اللغات الأخرى فهو شيء آخر غير القرآن .إنه قرآن في لغته .و في هذا تحديد فاصل [يوسف] ((

:و كيف يمكن أن تترجم آية مثل

[طه] (((5)الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))

أمام تكوين و بناء تتبع فيه ..و إنما نحن بالدرجة الأولى أمام معمار .إننا لسنا أمام معنى فقط الموسيقى من داخل الكلمات، من قلبها لا من حواشيها، من خصائص اللغة العربية و أسرارها و

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.ظلالها و خوافيها

إنها تحدث الخشوع في النفس بمجرد أن تلامس الأذن ..و لهذا انفردت الآية القرآنية بخاصية عجيبة لأنها تركيب موسيقي يؤثر في الوجدان و القلب لتوه و من قبل أن يبدأ ..و قبل أن يتأمل العقل معانيها .العقل في العمل

و لكنها مرحلة ..فإذا بدأ العقل يحلل و يتأمل فإنه سوف يكتشف أشياء جديدة، و سوف يزداد خشوعا و قد تؤتى البصيرة ..و قد تكشف لك الآية عن سرها و قد لا تكشفه ..قد تحدث و قد لا تحدث ..ثانية و لكنك دائما خاشع لأن القرآن يخاطبك أولا ..التي تفسر بها معاني القرآن و قد لا تؤتى هذه البصيرة ألقاه عليك الذي خلق اللغة ..طراز من الرصف يبهر القلب ..(فورم) ..كمعمار فريد من الكلام بنيان و يعرف سرها، و ليس أبدا محمد النبي الأمي الذي كان يرتجف كما ترتجف أنت و الوحي يلقي عليه فيرتجف و يتصبب عرقا و لا يعرف من أي [العلق] (((1)اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)) :بالآية و هو يلوذ بزوجته خديجة و هو لا يزال يرتجف فرقا لما سمع و ..سماوات يلم به هذا الصوت الآمر :قد بات يخشى على نفسه الجنون فتطمئنه خديجة بصوتها الحاني هامسة

و تقري الضيف، و ..و تكسب المعدوم .و الله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكَل)) .((تعين على نوائب الحق

يذرع دروب ..و ينقطع عنه الوحي سنتين بعد هذه الكلمات القليلة الأولى، و يتركه في حيرة .الصحراء الملتهبة يكاد يجن من أمر هذا الصوت الذي نزل عليه ثم انقطع عنه

.و لو كان محمد مؤلفا لألف في هاتين السنتين كتابا كاملا

و لكنه لم يكن أكثر من مستمع أمين سمع كما تسمع أنت تلك الكلمات ذات الموسيقى العلوية في لحظة .صفاء و جلاء فذهل كما تذهل و صُعقت حواسه أمام هذا التركيب الفريد المضيء

:و بعد سنتين من الصمت عاد الصوت ليهتف في أذنه

[المدثر] (((2)قُمْ فَأَنذِرْ (1)يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ))

.و لم يكن محمد من أدعياء المعجزات .ثم بدأت آيات القرآن تنزل متوالية

و يوم دفن ولده الوحيد إبراهيم حدث كسوف كلي للشمس فسره الناس على أنه معجزة و مشاركة من :الطبيعة لحزن محمد فقال محمد كلمته المشهورة

.((إن الشمس و القمر آياتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته))

و لو كان في طبعه الإدعاء لالتمس فيما حدث سببا للدعاية لنفسه، و لكنه كان الصادق الأمين من .أول يوم في حياته إلى آخر يوم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.و الوحي يلقي إلى محمد بما لا يعلم محمد

ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ))
[آل عمران] (((44)يَخْتَصِمُونَ

تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ))
[هود] (((49)لِلْمُتَّقِينَ

و لم تكن هذه الكتب قد ترجمت إلى العربية في ذلك ..و هو يلقي إليه بأسرار في التوراة و الإنجيل (القديس بطرسبرج)و أول نص مسيحي ترجم إلى العربية هو مخطوط بمكتبة –العصر البعيد .كانت هذه الكتب أسرارا عبرية لا يعرفها إلا أصحابها –ميلادية 1060كتب حوالي عام

:و هو يتحدى اليهود بأن يخرجوا مخطوطاتهم و يقرأوها

[آل عمران] (((93)قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))

.ثم هو يصحح بعض تفاصيل التوراة

و ((الحمير))ففي رواية التوراة لقصة يوسف يقول النص إن إخوة يوسف استخدموا في سفرهم .و هي الإبل ((العير))القرآن يروي أنهم استخدموا

و الحمار حيوان حضري عاجز عن أن يجتاز مسافات صحراوية شاسعة لكي يجيء من فلسطين إلى :و حكاية العير هي حكاية أدق و أصدق ..مصر

.((أقلام النساخ الكاذبة)) :ألم يلعن أرميا

إن الوحي يلقي على محمد ما لا يعلمه محمد لا هو و لا أصحابه و لا قومه و لا نساخ التوراة و ..(كهيعص) :ثم هو يلقي عليه من فواتح السور ما هو أشبه بالشفرة و الألغاز مثل ..حفاظها .مما لم يقل لنا النبي إنه يعلم له تفسيراً (عسق) ..(حم) ..(طسم)

و القرآن ..و لو أن محمدا هو الذي وضع القرآن لبث فيه أشجانه و حالاته النفسية و أزماته و أحزانه غير هذا تماما فهو يبدو من البدء إلى النهاية معزولا عن النفس المحمدية بما فيها من مشاغل و هموم :بل إن الآية لتنزل مناقضة للإرادة المحمدية ..

[طه] (((114) ..وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ))

فهي لا أكثر من ..كل هذا يضع أمامنا القرآن كظاهرة متعالية معزولة عن النفس التي أخبرتنا بها .واسطة سمعت فأخبرت

.من الله الذي أحاط بكل شيء علما –لفظا و معنى –أما القرآن ذاته فهو

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مخير أم مسير

في الطريقة التي تصف بها الألفاظ في رصف خاص يفجر ما ..نسيج وحده ..القرآن معمار فريد بداخلها من نغم، و هو نغم لا ينبع من حواشي الكلمات و أوزانها و قوافيها و إنما من باطنها بطريقة و بطريقة تؤدي إلى خشوع المستمع و إدراكه الغامض للمصدر الجليل الذي ..محيرة مجهولة تماما .جاءت منه

و قبل أن نتعقل كلماته، فإذا بدأنا نتأمل و نتعقل و ..فنحن نصبح أسرى للقرآن بمجرد الاستماع إليه نحلل و نعكف على الكلمات فسوف تنفتح لنا كنوز من المعاني و المعارف و الأفكار تحتاج إلى كيف تناولها ..مجلدات لشرحها، و لذلك سوف أكتفي بوقفات قليلة أمام بعض المشكلات الأزلية القرآن؟ و ماذا قال فيها؟

.و أولاها مشكلة الحرية

فأول ما يقوله الواحد ..و الحرية ثغرة كبيرة يدخل منها الشك و يتسلل منها هواة الجدل من الملحدين :منهم ليقيم الحجة على الدين كله أن يهتف محتجا

((فلماذا يحاسبني؟ .إذا كان الله قدر علي أفعالي))

((و إذا كان كل شيء يجري في الدنيا بمشيئة الله فما ذنبي؟))

.و السؤال يطرح معضلة بالفعل

.أصحابه بعدم الدخول في جدل –صلى الله عليه و سلم –و قد أوصى النبي

..و قال لهم إذا جاء ذكر القدر فأمسكوا

و أن ..لأنه علم أن المعضلة من المعضلات الفلسفية العالية التي لا يتيسر الرد عليها بعلوم عصره و لذا فضل الإيمان بالقلب على الثرثرة العقلية ..الجدل سوف ينزلق بهم إلى متاهة يضيعون فيها ..العقيمة

و هي وصية لا تنسحب تماما على عصرنا، الذي دخلت فيه الفلسفة الجامعات درسا ميسرا يتلقاه ابن .العشرين كل يوم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و في حاجة إلى جواب و رد شاف من الفلسفة و من الدين و ..و بذلك أصبح السؤال مطروحا بشدة من صميم القرآن ذاته.

و من النظرة المبدئية للعالم بما فيه من أرض و سماوات و نجوم و كواكب نرى أنه يقوم على سلسلة و إن كان لديك ورقة و قلم ..محكمة من الأسباب و المسببات، و أن كل شيء فيه يجري بنظام محكم و كل ..فإنك تستطيع أن تحسب بالضبط متى تشرق الشمس و متى تغرب، لأنها تتحرك حسب قانون شيء في الدنيا يتحرك حسب قانون.

(على كيفه)فإنه يشعر بأنه يمشي ..إلا الإنسان.

و ..الإنسان وحده هو الحر المتمرد الثائر على طبيعته و ظروفه، و لهذا يصطدم بالعالم و يصارعه يستحيل في أي لحظة أن يتنبأ أحد بمصيره.

فاعتبر الإرادة بسببها حرة في الظاهر لكن مقيدة (فرويد)و حكاية الحتمية الداخلية التي تصورها إن الغريزة :عاد هو ذاته فنقضها و قال ..في الباطن و أسيرة لجبرية الغرائز و آلية الحوافز الباطنة هي خام غفل تتصرف فيه الإرادة بالكبت أو بالإطلاق أو بالتسامي.

و هكذا عادت الغريزة لتصبح مجرد ظرف تتحكم فيه الإرادة كما تتصرف الإرادة في الظروف و أصبحت الإرادة بهذا المعنى حقيقة متعالية متجاوزة للغرائز ..الخارجية و تتحكم فيها.

تحدد ..فاعتبروا كل إنسان ابن طبقته .. (الماركسيون)و بالمثل حكاية الحتمية الطبقية التي أثارها فهو يتصرف كنبيل أو إقطاعي ..له طبقته حوافزه النفسية و عواطفه و رغباته و شخصيته السلوكية بل هو لا يكاد يملك نفسا فما يتخيل أنه نفس مستقلة بداخله، ما .لا كفلان الفلاني (كبروليتاري)أو إنها الحتمية الطبقية ..هي في الحقيقة إلا مجموعة من الأنماط السلوكية التي استعارها من طبقته و ما هو إلا وسيط تظهر من خلاله القوى الإجتماعية اللامعقولة في تصارعها ..تعمل من خلاله.

فكيف نفسر سلوك رجل ..و هي نظرة أوقعت الفكر الماركسي و علم النفس الطبقي في أشد التناقض و هو من النبلاء الإقطاعيين بحكم الوراثة و هو مع ذلك لم يتصرف أبدا كنبيل و لا (تولستوي)مثل علم النفس))كإقطاعي، بل تصرف كطليعة الفقراء و الفلاحين محطما بذلك تلك الحتمية التي سماها و .طليعة الفوضوية و كانا من كبار الأعيان (كروبتكين)و (باكونين)و بالمثل .((الطبقي ذاته ابن الطبقة البورجوازية الذي انقلب على الطبقة البورجوازية (ماركس).

و العامل الذي يهمل صيانة ..و ماذا نقول عن الفلاح الذي يهمل تنقية الدودة في مزرعة تعاونية الأوتوبيسات في قطاع عام.

إن هذ الحتمية التي يصورها علم النفس الطبقي هي كلام غير دقيق و غير علمي.

و الحقيقة أن النفس الإنسانية انفردت دون صنوف الوجود المادي، بأنها تملك قدرة داخلية على و أن الإرادة الإنسانية لها حريتها في أن ..و المحتوم ..و الضروري ..التملص من اللابد و اللازم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.لأنها منطقة حرة بالفعل ..و يستحيل التنبؤ بما يجري في منطقة الضمير ..تخل بأي تعاقد

إنه المخلوق الوحيد الذي يملك ناصية .لا شيء يحول بين الإنسان و بين أن يضمر شيئا في نفسه .أحلامه

و لكن هذه الحرية البكر الطليقة في الداخل ما تلبث أن تصطدم بالعالم حينما تحتك به لأول مرة في .لحظة الفعل

و أول قيد ..فإذا بدأنا التنفيذ اصطدمنا بالقيود ..إن رغبتنا تظل حرة مادامت كامنة في الضمير و النية و يحصرنا بالضرورات و الحاجات (الجاكتة الجبس)نصطدم به هو جسدنا نفسه الذي يحيط بنا مثل فنجري خلف .و يطالبنا بالطعام و الشراب ليعيش و يستمر و لا نجد مهربا من تلبية هذه المطالب ..بعضها و ليس كلها ..اللقمة و نلهث خلف الوظيفة و نضيع في صراع التكسب و نفقد بعض حريتنا و هو ثمن ضروري، فرغباتنا لا تستطيع أن تعلن عن نفسها بدون جسد، و جسدنا هو أداة حريتنا كما و ليس جسدنا وحده بل أجساد الآخرين أيضا أدواتنا، فنحن ننتفع بما يصنعه العامل و .أنه القيد عليها ما يزرعه الفلاح و ما يخترعه المخترع و ما يكتبه الكاتب و كل هذه ثمار أجساد الآخرين و حرياتهم .

إن المجتمع أداة هائلة موضوعة في خدمتنا بما فيه من بريد و مواصلات و نور و مياه و صناعات و .علوم و معارف

و حينما يركب أحدنا قطارا فإنه يركب في الوقت نفسه على حرية مجهزة أعدها له آلاف العمال و .المهندسين و المخترعين و هو يدفع في مقابل هذا الكسب ضريبة من حريته

جاذبية الأرض و ضغط الهواء و ..و ليس المجتمع وحده هو الذي يتقضاه ضرائب و لكن الكون كله .كلها تحاصره و تحاصر حريته و تطالبه بنوع من الوفاق معها ..مياه المحيطات و السماء بكواكبها

.و هو بالوفاق يربح حريته دائما

.بالوفاق مع العالم يمتطيه كما يمتطي الجواد

و ..فهو حينما يفطن إلى اتجاه الريح و يضع شراعه في مواجهتها يمتطي الريح و يسخرها لخدمته و بالمثل حينما يفطن إلى نفع الناس، و يسير في اتجاههم ..حينما يفطن إلى أن الخشب يمتطي الماء .يكسب الناس و يكسب معونتهم

و عالم المادة حوله الراسف ..عالم إرادته الحرة بداخله :إن الإنسان يعيش مضطربا بين عالمين .المغلول في القوانين

و هو دائما ..و سبيله الوحيد إلى فعل حر هو معرفة هذه القوانين و الفطنة إلى استغلالها بالوفاق معها .أمر ممكن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و لهذا فالحرية حقيقة لا تنفيها المقاومات و الظروف الخارجية، بل إن هذه المقاومات تؤكد الحرية إنها ..فلا يمكن أن تكشف حريتنا عن مدلولها في الخارج إلا بوجود عقبات تزحزحها و تتغلب عليها تكشف عن مدلولها من خلال صراع و بدون هذا الصراع لا يقوم لها معنى.

وضعت ..و الضوابط الخلقية و القوانين الاجتماعية لا تنفي الحرية و إنما هي أشبه بعلامات المرور لتتنظم المرور و تفسح أكبر حرية للكل.

و أنت حينما تقيم الضوابط على شهوتك تكسب حريتك لأنك تصبح سيد نفسك لا عبدا لغريزتك.

أما حرية القمار و السكر و العربدة و المخدرات و التبذل الجنسي فهي ليست حريات و إنما درجات من الانتحار و إهدار الحياة و بالتالي إهدار الحرية.

و كل اختيار ضد الحياة لا يكون اختيارا.

و كل اختيار ضد القانون الطبيعي ليس اختيارا و إنما إهدار للاختيار، و كلنا نعلم أننا إذا أردنا أن نزداد حرية و نحن نسبح اخترنا السباحة مع التيار و ليس ضده.

و أن الإنسان ..نخلص من هذا إلى أن حرية الإنسان حقيقة برغم ما يقوم حولها من حدود و مقاومات و حر حرية نسبية في التنفيذ، ..حر حرية مطلقة في منطقة ضميره، فهو يستطيع أن يضمر ما يشاء بحسب ما يقوم حوله من حدود و مقاومات ..في منطقة الفعل و العمل.

و علاقة حرية الإنسان بالإرادة الإلهية المطلقة ..و يبقى بعد ذلك اللغز الأزلي في علاقة الإنسان بالله .

و لأن القرآن كتاب دين و ليس كتاب فلسفة فإنه يكتفي بالومض و الرمز و الإشارة و اللمحة.

و أن ما يجري من حرية الإنسان لا ..فيقرر أولا أن حرية الإنسان كانت بمشيئة الله و رغبته و مراده يجري إكراها للخالق و لا إكراها للمخلوق، و إنما بهذا قضت المشيئة.

و يقول القرآن في وضوح:

((ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) – 99) (يونس)

لقد رفض الله أن يكره الناس على الإيمان و كان هذا في إمكانه، و لكنه أراد للإنسان أن يكون حرا مختارا، يختار الإيمان أو الكفر كما يشاء:

((و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر)) (الكهف – 29)

((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) (البقرة – 256)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(السجدة – 13) ((..و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها))

(فصلت – 17) ((..و أما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى))

بل فعل بنا أكثر من هذا، .و قد سبقت بهذا مشيئته ..إن الله يتركنا و لو اخترنا العمى على الهدى عرضها لنقبلها أو (و هي الحرية و المسئولية)عرض علينا هذه الأمانة ..فخيرنا حتى في أن نختار و .نرفضها كما نشاء و هي الأمانة التي رفضتها الجبال فحمل الإنسان الأمانة التي رفضتها الجبال كان بنفسه جهولا ظلوما:
إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها))
(الأحزاب – 72) ((الإنسان إنه كان ظلوما جهولا

و كيف ..لقد جهل الإنسان تبعة هذه الأمانة و أهوالها و مهالك الغرور التي سوف يتعرض لها بحملها و كان يعلم أن هذه المحنة ..و لكن الله كان يعلم بهذه المحنة الهائلة ..أنه سيظلم بها نفسه و غيره سوف تزكي الإنسان و تطهره و تربيه:

و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء))
(البقرة – 30) ((و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون

..و لا نعرف كيف تم هذا العرض على الإنسان بأن يكون حرا أو لا يكون، و لا متى تم هذا العرض .فهذا غيب مطلق ..أم مع الأرواح قبل نزولها إلى الأرحام ..هل حدث في مبدأ الخلق مع آدم

..و القرآن يكتفي بأن يعطي ومضة، و لمحة

و بهذه الحرية التي قبلها الإنسان مختارا حقت عليه المسئولية و المحاسبة، و أشار القرآن لهذا في آيات حاسمة قاطعة:

(المدثر – 38) ((كل نفس بما كسبت رهينة))

(الطور – 21) ((كل امرئ بما كسب رهين))

(الإسراء – 13) ((..و كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه))

(سبأ – 25) ((قل لا تسألون عما أجرمنا و لا نسأل عما تعملون))

(الإسراء – 15) ((..و لا تزر وازرة وزر أخرى))

.و لا يستطيع أحد أن يفتدي آخر أو يحمل عنه ذنبه و إنما لكل عمله و على كل وزره

منطقة محرمة و قدس ((ضمير الإنسان و نيته و سريرته))و بمقتضى هذه الحرية جعل الله من

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.و قطع على نفسه عهدا بأن تكون هذه المنطقة حراما لا يدخلها جنده ..لا يدخلها قهر أو جبر ..أقداس

.فالمبادرة بالنية حرة تماما

و كل منا له أن يضمر و ينوي و يسر في سريرته ما يشاء، و إنما يبدأ التدخل الإلهي لحظة خروج النية إلى حيز الفعل. و هو ..فيعطي الله لكل إنسان تيسيرات من جنس نيته و من جنس ضميره و قلبه ..عين العدل ليكون الفعل بعد هذا معبرا عن دخيلة فاعله:

(الليل) (((10)فسنيسره للعسرى (9)وكذب بالحسنى (8) (اللیل) (((10)فسنيسره للعسرى (9)وكذب بالحسنى (8)و أما من بخل و استغنى (7)فسنيسره لليسرى (6)و صدق بالحسنى (5)فأما من أعطى و أتقى))

ها هنا وعد آخر من الله بأن يجعل تيسيرات الأفعال مطابقة لدخائل القلوب فيجد الشرير تيسيرات الشر، و يجد الخير تيسيرات الخير. و من يعلم الله فيه الهدى يهديه، و من يعلم فيه الضلال يتركه ..للشياطين تضله:

(الفتح – 18) ((فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثابهم فتحا قريبا))

:و في آيات أخرى نراه يقول

(الأنفال – 23) ((..و لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم))

(الصف – 5) ((..فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم))

:نراه يتكلم في القرآن عمن ..و أحاط بكل شيء علما ..و لأن الله علم بكل شيء مسبقا

(فصلت – 25) ((..حق عليهم القول))

(الأنبياء – 101) ((..إن الذين سبقت لهم منا الحسنى))

(النحل – 36) ((..و منهم من حقت عليه الضلالة))

(السجدة – 13) ((حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين))

و ..فقد علم مسبقا و سلفا أن الإنسان سيفسد في الأرض و سيسفك الدم و يظلم نفسه و يظلم الآخرين. يستحق بذلك درجات متفاوتة من العقوبة

.كل هذا كان في سابق علمه

كما يحدث أن تتوسم في أحد أبنائك حب العلم و التحصيل ..و لكن ..و ليس هذا بالجبر و لا بالحتم و ترى في الآخر العكوف على الفساد و ..فتمده بالتسهيلات و التيسيرات و تبعثه إلى الخارج في بعثة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و لو فعلت عكس ذلك لكنت ظالما، و ..صحبة السوء فتكتفي بما له من حظ محدود من التعليم في بلده لأكرهت أبناءك على غير طبائعهم.

فأنت تعلم ..و إنما هو مجرد سبق علم ..كما أن هذا التوسم المسبق ليس فيه عنصر إكراه و لا جبر فإذا انصرف إلى اللعب بالفعل و ..مسبقا من أخلاق ولدك بأنه سوف ينصرف إلى اللعب و يهمل كتبه أهمل كتبه فإن ذلك لا يكون إكراها منك و لا جبرا و لا عنوة و إنما لأن هذه طبيعته التي سبق علمك فقد علم من ..و بذلك يحق عليه العقاب صدقا و عدلا ..و إنما تأتي التجربة فتكشف له نفسه ..إليها نفسه ما لم يكن يعلمه:

(الانفطار – 5) ((علمت نفس ما قدمت و أخرت))

و لهذا جاءت الدنيا لتكون حقل تجربة و اختبارا لمعادن النفوس:

(الملك – 2) ((..خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا))

و حتى لا تكون لأحد أعذار في أفعاله فيقول لحظة الحساب فعلت كذا و كذا تحت تأثير العرف و التقاليد و البيئة و المجتمع و التربية ..إلخ ..إلخ حسم الله الموضوع فقال في القرآن:

(البقرة – 225) ((..لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم و لكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم))

و في آية ثانية:

(الأحزاب – 5) ((..و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به و لكن ما تعمدت قلوبكم))

و في آية ثالثة يحدثنا عن الذين ارتدوا إلى الكفر بعد إيمانهم و يهددهم بأشد العذاب ثم يستثني قائلا:

(النحل – 106) ((..إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان))

أي من كفر بلسانه تحت تأثير التعذيب و ظل قلبه مؤمنا.

إن ما يدور في القلب هو موضوع المحاسبة بالدرجة الأولى و ليس ما يجري على مسرح الفعل.

(الطارق – 9) ((يوم تُبلى السرائر))

إن السريرة هي محل الابتلاء و محل المحاسبة.

و السريرة هي السر المتجاوز للظروف و المجتمع و البيئة و التربية كما أسلفنا في شرحنا المسهب.. و الابتداء المطلق الذي أعتقه الله من كل القيود ..فهي المبادرة المطلقة.

إنها روحك ذاتها و هي الكاشفة عن حقيقتك بمثل ما تكشف بصمة إصبعك عن فرديتك.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و روحك فيها من حرية الله لأنها نفخة منه:

(الحجر – 29) ((فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين))

و لأن فيك ذلك القبس من الله و لأنه كرمك بحرية الإرادة، فأنت محاسب على هذه الحرية، و هذا منتهى العطاء الإلهي و منتهى العدل أيضا.

و من هنا يأتي المزج بين الروح و بين الله في آيات عميقة الدلالة:

(الأنفال – 17) ((..و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى))

يأتيك النصر بيدك و بيد الله في ذات الوقت فتكون يدك لحظة الانتصار هي يد الله و رميتك رميته و مشيئتك مشيئته.

و من هنا قد يعترض معترض فيقول:

فلماذا لا تكون النية هي الأخرى مقدرة؟

و الجواب على ذلك يأتي من صميم القرآن:

(البقرة – 10) ((..في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا))

(غافر – 34) ((كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب))

(محمد – 17) ((..و الذين اهتدوا زادهم هدى))

(الصف – 5) ((..فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم))

(الأعراف – 146) ((..سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق))

و من هذا يتبين أن الله ترك المبادرة بالنية دائما لك ثم بعد ذلك يأتي قضاؤه فيزيدك مرضا إذا أضمرت المرض في قلبك و يهديك إذا بادرت في سريرتك بميل إلى هدى و يصرفك عن الهدى إذا أضمرت الكبر..

و بعد ذلك ينزل عليك القضاء و يحق عليك إن منطقة الضمير متروكة دائما لك لتبادر بما تشاء القول..

و الله لا يمكن أن يفرض عليك نية بالسوء أو بالظلم:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(الأعراف – 28) ((إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون))

و لا ..و هذا يدل على أن قانون الخلق الأول هو أن تكون الروح محرابا و قدس أقداس لا يدخلها قهر يكرهها الله على شيء لا هو و لا جنده و لا أنبياؤه و لا أولياؤه إن النفس حرة منزهة.

الذي لا يعلم به إلا الله يوم تبلى السرائر ((السر الأعظم))إنها.

و في هذا يقول حديث نبوي شريف عن أبي بكر:

((لا يفضلكم أبوبكر بصلاة و لا بصيام و لكن بسر وقر في قلبه)).

و يقول الله في قرآنه:

(109 –) ((..ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)) (البقرة

و ..لم يخلق الله الحسد في قلوبهم و لم يودعه ضمائرهم، و لكنهم يحسدونكم اختيارا من عند أنفسهم و هي تنفي التدخل الإلهي و تقطع بوجود هذه المنطقة ..((من عند أنفسهم))العبارة هنا صريحة الداخلية التي تركها الله حرة.

و يقول الله تعالى مخاطبا الشيطان:

(الحجر – 42) ((إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين))

إن الشيطان لا يستطيع أن يدخل قلبك إلا إذا فتحت له الباب اختيارا و كنت من الغاوين، و لكنه لا يستطيع أن يقتحم عليك قلبك جبرا و قسرا.

إن الله قد كفل لهذا لقلب الحماية و لم يجعل لأحد من جند الشر أو الخير سلطانا قاهرا عليه إلا إذا أراد صاحب هذا القلب اختيارا أن يستضيف و يدعو و يحتضن دواعي الشر أو دواعي الخير فحينئذ يكون له ما أراد.

و حرم محرم تقوم عليه الأسوار و لا يدخله حتم و لا جبر و لا إكراه ..نحن أمام قدس أقداس بالفعل.

و ما يحدث لنا من إكراه بالفعل في عالم الواقع لا يمكن أن يصل إلى داخل ضمائرنا.

يمكنك أن تجبرني بالقوة على أن أرفع يدي أو أقف مرغما أو اهتف باسمك، و لا يمكنك أبدا أن تجبرني على أن أحبك.

و لهذا لا تعطينا الأديان رخصة لنقول يوم الحساب إن فلانا أغراني أو فلانا أجبرني، أو فلانا أكرهني أملا في أن يلقي الواحد ذنبه على الآخر، فقد جعل الله من أعماق الضمير و السريرة منطقة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.حراما لا يستطيع أن يدخلها جبار بجبروته

.و لكنك لا تستطيع أن تكرهه على أن يضمر شيئا في سريرة قلبه .يمكنك أن تكره خادمك على فعل

و القرآن يعتبرك حرا مسئولا مهما أحاطت بك ظروف الاستبداد فيقول إشارة إلى أمثال هذه
:الظروف

(النساء – 97) (..ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها))

.لا أعذار

.حينما تقضي اللحظة أن تختار فأنت تختار نفسك بالفعل

(الإنسان – 3) ((إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا))

.يبدو عنصر الاختيار واضحا محددا ((إما))و في لفظ

(الشمس) (((8)فألهمها فجورها و تقواها (7)و نفس و ما سواها))

، (فجورها و تقواها)و لهذا قال ..أي فتح أمامها سبيل الخير و الشر و تركها أمام الطريقين لتختار
..لأنه فتح الطريقين معا ليجعل للنفس الاختيار و لم يجبرها على أحد الطريقين (أو تقواها)و لم يقل
:و لذلك أردف موضحا

(الشمس) (((10)و قد خاب من دساها (9)قد أفلح من زكاها))

:فرد الفلاح و الخيبة للنفس المخيرة، و في آية أخرى يوضح الأمر أكثر فيقول

(البلد – 10) ((و هديناه النجدين))

.أي هديناه مفترق طريقين يختار أيهما

.إن النية حرة

.و السريرة حرة في إضمارها لما تشاء

.أما الفعل فهو حر و مقدور في ذات الوقت

و الذي يقول بالجبرية سوف يقع في مأزق حينما نسأله ..و كل واحد منا له نصيبه من حرية الفعل
و بين يده و هي أسيرة ترتعش قهرا في ..كيف يميز بين يده يحركها في حرية و يكتب بها ما يشاء
هنا أمامنا حالتان واضحتان، حرية في حالة الصحة، و جبرية في حالة المرض، و لو ..رجفة الحمى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و لما أمكن أن تقوم ..كانت الجبرية التي يقول بها صحيحة لما أمكن أن يميز بداهة بين الحالين الحالتان أصلا.

و القدر أيضا حقيقة ..إن حرية الفعل إذن حقيقة.

و كيف لا تلغي الحرية ..و المشكلة هي أن نحاول أن نفهم هذا الازدواج و كيف لا يلغي القدر الحرية القدر.

فهي تلمح و لا تصرح حتى لا تُلقي بالناس في بلبلة ..و هذا أمر نستشفه من الآيات استشفافا.

يقول الله في كتابه:

(الشعراء – 4) ((إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين))

لأنه لم يشأ أن يقهرنا على إيمان فتنتفي بذلك حرية الاختيار التي جعل ..لو شاء لفعل و لكنه لم يفعل فقد أراد لنا أن نكون أحرارا نؤمن أو نكفر ..منها جوهر وجودنا.

و لم يجعل الله إبليس إبليسا.

و إنما إبليس اختار لنفسه الكبرياء و الجبروت و التعاظم حينما رفض أن يكون في خدمة آدم مثل بقية الملائكة و قال:

(ص – 76) ((أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين))

فاختاره الله ليغرر بالناس و قضى عليه قضاء من .اختار إبليس لنفسه الغرور بغير علم و لا حق جنس ضميره.

و بالمثل أبصر النقاء و الطهر في قلب محمد فاختاره نبيا للهداية:

(العنكبوت – 69) ((..و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا))

أخفى الله نفسه في الإنجيل، و أخفى نفسه في القرآن لأنه –لعدم القهر و الجبر –و لهذا السبب أيضا فجعل من التوراة و الإنجيل و .لم يرد أن يلجمنا بالتجلي القاطع الفاصل فيقهرنا على الإيمان قهرا القرآن كتبا يمكن أن نؤمن بها و يمكن أن نشك فيها.

و قال عن قرآنه:

(البقرة – 26) ((..يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا))

و إنما تركك ..و ضمن آياته البراهين و لكنه لم يجعلها أبدا براهين ملزمة تأخذ بالخناق و تقهر العقل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فتفصح ..و لتقول ما تريد دون مؤثرات كابحة ..دائما لترجح شيئا على شيء حرصا منه على حريتك عن دخيلتك و سريرتك و يحق عليك القول.

لقد أرادك أن تكون من أحد الأوجه خليفة صغيرا له على الأرض تحكم و تقضي في شئونك و شئون الآخرين.. ليمتحنك و يختبرك.

و في آية نموذجية يشرح القرآن ما بين القدر الإلهي و الحرية الفردية من تلاق، و يرفع ما بينهما من تناقض.. و –صلى الله عليه و سلم –حينما يروي ما حدث من تكاسل المنافقين عن نصرة الرسول عدم الخروج معه في غزواته:

((و لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة و لكن كره الله انبعاثهم فثبطهم و قيل اقعدوا مع القاعدين 46) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا و لأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة و فيكم سماعون لهم و الله عليم بالظالمين (47))) (التوبة)

ها هنا منافقون بالقلب لا يريدون بالنية أن ينصروا نبيهم فيقضي عليهم الله بمثل نيتهم فلا يريد لهم كما لم يريدوا لأنفسهم و يثبطهم و يكره لهم الخروج كما كرهوه لأنفسهم.

و يبدو هذا التماثل بين قدر الله و سريرة الإنسان في آية أخرى أكثر صراحة و التي تخاطب النبي يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ..)) (الأنفال – 70) ((

هنا يبدو الفعل الإلهي (القدر) دائما من جنس النية التي هي عين الاختيار.

فلم يكن التناقض إلا في وهمنا نتيجة ..و يبدو كيف تماثل أمر الله و اختيار الإنسان و انتفى التناقض عدم الفهم.

و أصبح من السهل علينا أن نفهم آيتين متناقضتين في الظاهر مثل:

((فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر ..) (الكهف – 29))

((و ما تشاءون إلا أن يشاء الله ..) (الإنسان – 30))

ففي الآية الأولى يصف الله إرادة الإنسان الحرة.

و في الآية الثانية يتكلم عن إرادته الإلهية و هي القدر.

فقد فهمنا أن الله لا يريد للإنسان إلا ما يريد ..و ما بين الإثنين من تناقض هو تناقض في الظاهر فقط الإنسان لنفسه:

((و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(النساء – 115) ((جهنم و ساءت مصيرا

من يختار طريق السوء و يرى الله في نيته الإصرار فإنه لا يكرهه على الخير و إنما يختار له ما اختار لنفسه و يمد له في غيه و يمهد له أسباب الشر تمهيدا حتى يخرج ما يكتمه و يتلبس بفعله و يحق عليه العذاب:

(النساء – 115) ((نولّه ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا))

هنا الجبر هو عين الاختيار و لا تناقض لأن إرادة الله هي إرادة العبد.

انتفت الثنائية.

(الرعد – 11) ((..إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))

التطابق هنا واضح ..الله لا يغير ما يريده بإنسان حتى يغير ذلك الإنسان ما يريده بنفسه.

ينفذ القضاء و يتم الفعل بإرادة الله و مشيئته و في الوقت نفسه باختيار ..الحرية و القدر ..الإثنان الإنسان و حريته بلا تناقض))(النساء – 78) ((قل كلٌ من عند الله

حريتك ذاتها منحة و ..فأنت تشاء و لكن قدرتك على أن تشاء و تختار هي منحة من الله و مشيئة عليا عطية و مشيئة إلهية..و من هنا كانت الآية:

(الإنسان – 30) ((..و ما تشاءون إلا أن يشاء الله))

فهي تقرر أنك حر و لكن حريتك منحة و عطية و هبة ..و ليست كلاما متناقضا ..هي تقرير للحقيقة و مشيئة من المعطي.

(البقرة – 72) ((و الله مخرج ما كنتم تكتمون))

الله يخرج ما في النية و يفضح مكتوم السرائر ليسجل على كل واحد نيته كما هي دون جبر أو إكراه..(طائره في عنقه)إنه يفضحها فقط و يخرجها على حالها ليكون كل واحد.

ثم تأتي الآية القرآنية الحاسمة فتختم الموضوع:

(الانفال – 24) ((و اعلموا أن الله يحول بين المرء و قلبه و أنه إليه تحشرون))

و لكنه يقيم سلطانه بين .و معنى هذا أن الله يدع القلب حرا فتكون لكل إنسان سريرة هو حر فيها المرء و قلبه.

و ليقدم ..فهو يحول بين المرء و قلبه بالتمكين أو الإحباط لطفا منه و رحمة ليقي أحبائه السيئات

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.إما لليسرى و إما للعسرى ..التيسيرات لكلٍّ حسب ضميره و نيته و مبادراته

إذ يريكهم الله في منامك قليلا و لو أراكهم كثيرا لفشلتم و لتنازعتم في الأمر و لكن الله سلم إنه)) و إذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا و يقللكم في أعينهم ليقضي الله (43)عليم بذات الصدور (الأنفال) (((44)أمرا كان مفعولا و إلى الله ترجع الأمور

فالله يريد أن يحث المسلمين ..هنا مثل آخر بليغ للتدخل الإلهي اللطيف الخفي بين المرء و بين قلبه يريد أن يدفع (ثلثمائة يواجهون ألفا مدججين بالسلاح و الدروع)على القتال في بدر و هم قلة فيسوق إلى الرسول في ..المسلمين إلى المعركة دون جبر و دون إكراه حتى يكون الاختيار اختيارهم و ساعة المعركة يجعل كثرة المشركين تبدو ..منامه رؤيا يظهر فيها الأعداء قلة قليلة لا يؤبه لها و بذلك يستدرج الكل إلى ..كما يهون من شأن المسلمين في أعينهم ..للمسلمين قلة ليهون من شأنهم .معركة ليقضي أمرا كان في علمه مفعولا

و هذا هو التيسير الذي يسوق به الأسباب دون أن يخل بناموس الحرية الذي قضى به لكل إنسان في .سريرته و هو عن هذه الحرية مسئول

بهذه الكلمات التي تضيء كالومض الخفي يعطي القرآن المفتاح لأكبر المشكلات استعصاء في .مشكلة الجبر و الاختيار ..الفلسفة

قصة الخلق

(ùù ǔ ǔ ǑƏǔ ÙǨǔ əÙǨ ǔ˜ǑÙ ƏǨF ÙǨ ǔǔǔ oǨÙ.. ỹǔ ǔƏ ǨF

و كيف خطا ..و ميلاد الأرض و القمر و الشمس و النجوم و كيف حدث؟ ..مبدأ الخليقة و كيف كان؟ ..و من أين جاء؟ ..على الأرض أول إنسان؟

.كل هذه أمور خاضت فيها العلوم و كان لها في شأنها نظريات و شواهد و براهين

علوم البيولوجيا و الإنثروبولوجيا و الفلك و الكيمياء العضوية و الجيولوجيا و التطور الذي أصبح ..مجلدات و مجلدات ..و علم التشريح ..و علم الأجنة ..الآن علما قائما بذاته

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فما قام الدين ..و كلام كثير لا يمكن أن نكون بمعزل عنه و نحن نقرأ ما يقوله القرآن عن قصة الخلق و ليقودنا إلى اليقين في ..أبدا منعزلا عن الحياة و لا قام ليعادي العلم بل إنه قام ليقدم لنا منتهى العلم فلا يمكن أن نخوض فيه دون أن ..جاء ليقول كلمة أخيرة ..مقابل الشك و الاحتمال و الترجيح .و دون أن نثير القضية كاملة برمتها علما و دينا و فلسفة و سياسة ..نخوض في كل شيء

لغز)و ..(لغز الموت) ..و هذا يردني إلى كتابين كتبتهما و قدمت فيهما الإشكال جملة و تفصيلا هما و لذا سأكتفي بسطور أعود فأثيرها حتى لا يضيع ..، و لا يمكن أن أعود فأكرر ما قلته فيهما(الحياة .منا السياق و حتى أربط معي القارئ في الفكرة الكلية

أبا التطور ليروي لنا رؤيته عن مسيرة الحياة، و ..(داروين)و إلى مبدئها و ألتقط ..أعود إلى الحياة و إنما ..خطأ، كما لا أقول أيضا إن كل ما رآه صواب (داروين)لا أتفق مع القائلين إن كل ما قاله .هي مناسبة لإعادة النظر و التفكير

•••

يجمع العينات من البر و البحر و من (داروين)مضى ((بيجل))و في رحلة حول العالم في الباخرة تحت الماء و من فوق الماء و يدرس و يتأمل و يدون و يجمع ملاحظاته عن الأحياء في كافة أرجاء .الأرض

:عدة ملاحظات (داروين)و لاحظ

.إن الحياة تتلون و تتكيف و تغير من تكوينها لتتلاءم مع بيئتها على الدوام *

و ..الإنسان في المناطق القطبية، سمين مكتنز بالدهن تماما مثل الحوت ليقي نفسه غائلة البرد * بينما هو في المناطق الاستوائية الحارة نحيل هزيل أسود، و .الدببة مغطاة بالمثل بمعاطف من الفراء .كأنما اخترع لجلده مظلة لتقيه الشمس

و لهذا فهي عمياء و ..سحالي الكهوف التي تعيش في الظلام لا وظيفة عندها للبصر، و لا للألوان * .أما سحالي البراري فحادة البصر و ملونة ..بلا لون

فم مزود بأسنان خنجرية تقطع و تمزق مثل :أفواه الحيوانات اختلفت و تباينت حسب وظائفها * (الانكلستوما)النمر، و فم مزود بمنقار يلتقط مثل الطير، و فم مزود بخطاف يتشبث كما في دودة و فم مزود بإبرة تحقن كما ..و فم مزود بخرطوم يمص كما في الذبابة ..التي تمسك بجدار الأمعاء .و فم مزود بمناشير و طواحين تطحن و تقرض كما في الحشرات القارضة ..في البعوضة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هل الحكاية أن الحيوانات أصلها واحد، ثم تطور هذا الأصل و تباين و اختلف إلى هذه الفصائل ..الحيوانات التي دبت عل الأرض طورت لنفسها أرجلا ..!المتباينة بسبب تباين الظروف و البيئات؟ و التي نزلت إلى البحر تحورت فيها الأرجل إلى زعانف، و التي طارت في الجو تحورت فيها .الأطراف إلى أجنحة

.إذا كان هذا الاستنتاج صحيحا، فلا بد أن يكشف لنا تشابها في بنية الجميع

.و هذا هو ما قاله المشرط بالفعل

.ففي الثعبان الذي بلا أرجل يكشف التشريح عن أرجل ضامرة مختفية في هيكله العظمي

و الطيور التي تبدو و كأنها لها زوجا واحدا من الأطراف يكشف التشريح أن أجنحتها هي الزوج .الثاني من الأطراف تحور ليلائم وظيفته الجديدة

الأسماك التي تدب على الأرض و تتنفس برئات يكشف التشريح عن أن رئاتها هي نفس كيس العوم .تحور ليلائم وظيفة التنفس الجديدة

.زعانف السمك الأربع هي نفس الأطراف الأربعة متحورة إلى ما يشبه المجاديف

عدد أصابع اليد و القدم فينا خمس و في القرود خمس و في الفئران خمس و في السحالي خمس، .حتى الوطاويط لها خمس أصابع ضامرة

القلب و الدورة الدموية تسير على خطة واحدة في الحوت كما في الفأر، كما في القرد، كما في نفس الشرايين لها نظائرها في كل نوع، و القلب هو دائما نفس القلب .الإنسان، كما في الوطواط .بغرفه الأربع

و الجهاز العصبي الذي يتألف من مخ و حبل شوكي و أعصاب حس، و أعصاب حركة، هو نفس .الجهاز العصبي في الكل

كل عظمة لها نظيرها مع ..و الجهاز العضلي بعضلاته و الهيكل العظمي بعظامه عظمة عظمة .اختلافات طفيفة في الشكل لتلائم الوظيفة في كل حيوان

.و الجهاز التناسلي نفس الخصية و المبيض و قنوات الخصية و المبيض و الرحم في كل حيوان

حتى فترة ..و فترة الحمل عندنا تسعة أشهر، و في القرود العليا تسعة أشهر و في الحيتان تسعة أشهر .الرضاعة في الجميع سنتان

يكشف التشريح في الهيكل العظمي للإنسان نفس فقرات الذيل التي في القرود، و قد :ثم خبطة أخرى .حتى عضلات الذيل قد تحورت إلى قاع متين للحوض ..تدامجت و التحمت لانعدام وظائفها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و فقرات الرقبة في الإنسان عددها سبع و في الزرافة برغم طول رقبتها أيضا سبع و في القنفذ سبع رغم قصر رقبته.

في مرحلة يكون أشبه بسمكة و ..يمر الجنين في رحم أمه و هو يتخلق على مراحل :و خبطة ثالثة و في مرحلة ثالثة يتغطى بالشعر تماما ..و في مرحلة أخرى ينمو له ذيل ثم يضمر ..تكون له خياشيم كالقرود ثم يبدأ الشعر ينحسر عن جسمه تاركا مساحة صغيرة عند الرأس.

و كشف لنا مبدأ الخليقة و مراحل تطورها ..لقد فضح الجنين القصة.

فها هي ذي نفس عضلات الأذن التي .و المشرط و هو يعبث خلف الأذن البشرية يكتشف شيئا آخر كانت تحرك آذان الحمير و قد تليفت و ضمرت حينما لم تعد لها وظيفة و حينما اتخذت آذننا أشكالا تغنيها عن الحركة.

و (بكين)و (الترنسفال)ثم ها هي ذي الحفريات تكشف عن جماجم بشرية ذات شكل قردي في ، و بعض هذه الجماجم وجدت في كهوف عثر بها على بقايا خشب متفحم في (نياندرتال)و (جاوة) مواقد تدل على أن أصحاب هذه الجماجم قد اكتشفوا النار و استخدموها منذ ملايين السنيين.

نظريته في أصل الأنواع (داروين)لم يبق إلا أن يكتب.

إن الأنواع انحدرت كلها من أصل واحد تباين و اختلف إلى شجرة :بل إن النظرية لتكتب نفسها فتقول من الفصائل و الأنواع نتيجة تباين الظروف و البيئات.

إن الإنسان انحدر من القرد و لم يقل إن الجنس البشري من سلالة شمبانزي أو (داروين)و لم يقل (للداروينية)نسناس و إنما هي نكتة روجتها الصحف و انتشرت كنوع من الكاريكاتير الخفيف الدم.

و إنما كل ..و لكن النظرية في أصلها المكتوب لا تقول إن أيا من الأجناس الموجودة خرج من الآخر لم يخرج فرع الإنسان من –لم يخرج فرع من فرع ..جنس هو بذاته نهاية فرع مستقل من الشجرة و إنما خرج كل منهما على حدة من الشجرة الأم و هما يرتدان في الأصول إلى منبع –فرع القرود و ..واحد هو الخلية الأولى التي تنوعت بها البيئات فتفرعت شجرتها إلى ما نرى حولنا من تصانيف فكل صنف هو ذروة نوعه و هو مستقل بتكوينه لا يلد إلا مثله ..لكن لم يخرج صنف من صنف.

أمام ظاهرة الترقي مفكرا متأملا (داروين)و وقف.

إن كلامه عن التكيف و التلاؤم بين المخلوق و بيئته لا يفسر إلا التباين الخلقي و الوظيفي بين المخلوقات و لكنه لا يفسر ارتقاءها من الأدنى إلى الأعلى.

فقال إن الترقي حدث بحوافز داخلية مادية بحتة و بدون يد هادية ..لنفسه تفسيرا (داروين)و ابتكر من خارج.

مجرد صراع البقاء كان الغربال.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التواليف التي خرجت إلى الحياة بأرجل مبططة كانت أصلح ..كان التزاوج يلقي بتصانيف و تواليف للعوم و استطاعت أن تستمر في الحياة المائية، و الحيوانات المائية الأخرى التي حافظت على التصنيف القديم للأرجل البرية ماتت.

و حدث الترقي الذي نراه تلقائيا بمجرد الحوافز ..و هكذا عاش الأصلح و مات الأقل صلاحية الحياتية المادية.

(داروين)و قامت الزوبعة على.

بعضها و مات (داروين)و عاش من نظرية ..و مضت سنون و سنون من التمحيص و إعادة النظر بعضها.

حكاية أن الأنواع انحدرت من أصل واحد و أنها تباينت إلى شجرة من الفصائل و الأنواع نتيجة تباين فالوشيجة العائلية .الظروف و البيئات كانت احتمالا مرجحا أقرب إلى الصحة تقوم عليه الشواهد و التشريح يقول إنها ترتبط بعضها ببعض بصلة رحم و قربى ..تربط كل الخلائق بالفعل.

و سقطت من ..أما حكاية أن الترقي حدث بالحوافز الحياتية وحدها و بدون يد هادية فلم تعد مقنعة غربال الفكر المدقق المحقق.

و بأي حوافز ..فلماذا يخرج من شجرة الحمار شيء كالحصان مع أن الحمار أكثر جلدا و احتمالا و بالمثل ..يتطور من عائلة الوعل شيء كالغزال و هو أرهف و أضعف و أقل جلدا من الوعل و الحمام و ..الفراش الملون الرقيق أبطأ و أضعف و أقل قدرة من الزنبور الطنان الغليظ الشكل اليمام و الطواويس و العصافير الملونة أكثر رهافة و تهافتا من الصقور و الحدادى و النسور.

و نشوء هذه الأنواع لا يمكن أن يفسره قانون بقاء الأصلح، و إنما قانون آخر هو بقاء الأجمل.

أجمل في عين من؟

إنه انتقاء ..الذكر فيها يختار الأنثى الأجمل ..أجمل في عين بعضها بعضا ..يقول المعلق الخبيث إننا مازلنا أمام الحوافز الحياتية المادية ..جنسي.

و هو قول مردود عليه.

إن الجناح المنقوش ليس أصلح ..فلماذا يختار الذكر الأنثى الأجمل؟ إن القضية مازالت تطرح نفسها للطيران من الجناح السادة.

هنا عقل ..و إنما هنا قيمة جمالية عليا تفرض نفسها على جميع الحوافز ..لا توجد مصلحة حياتية هنا نلمس آثاره في ورق الشجر و ألوان الزهر و أجنحة الفراش و ..الفنان المبدع الذي يجمل مخلوقاته ريش الطواويس.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كما نقف مذهولين أمام بعض الأشجار الصحراوية إذ نجد أن الطبيعة خصتها ببذور مجنحة لتطير أو نتأمل بيض البعوض فنكتشف ..محلقة تقطع أميال الصحاري الجرد لتجد فرصها القليلة في الماء ..أنه يملك أكياسا هوائية للطفو، ليعوم في الماء و لا يغرق

كل هذا لا يفسره إلا عقل كلي يفكر و يهندس لمخلوقاته فلا أشجار الصحاري تعقل لتزود بذورها في الطفو ليزود بيضه بوسيلة للعوم (أرشميدس)بأجنحة و لا البعوض يعرف قوانين.

تماما و لا يفسرها إلا وجود خالق عليم قدير يهندس الوجود (داروين)هذه أمور تعجز أمامها نظرية و يصممه و ينشئه إنشاء، و ما يجري أمامنا ليس تطورا، بل تطويرا مرادا مدبرا و متعمدا من يد خالقة مبدعة هي التي تقوم بالتعديل و التحسين.

سوف نتصور أننا نعاني نقصا ..و لنشرح هذا الكلام أكثر سوف نتصور حكاية خيالية افتراضية و هكذا ..و هو نقص يجعلنا نرى الآلات المختلفة دون أن نرى صانعها ..خاصا في حاسة البصر دون (الديزل)و السيارة و القطار و (الحنطور)و العربة (الكارو)سوف نرى عربة اليد و عربة و .و سوف نقول إن هذه أشياء تطورت بعضها من بعض على سلسلة من المراحل ..أن نرى الإنسان فكل هذه الكائنات تتشابه في أنها من مادة الحديد و .سوف ندلل على ذلك بما بينها من تشابه تشريحي و القطار سوف نرى أن (الديزل)و بين السيارة و ..الخشب و الجلد و تتركب من جسم و عجلات ،، مرة يشتغل بالبنزين و مرة بالبخار و مرة بزيت البترول(سلندر وبستم)يتألف من (موتورا)هناك

نتيجة صراعها ..و لأننا لا نرى الصانع الذي صنعها جميعا فسنقول إنها تطورت بعوامل داخلية فيها مع البيئة و بقاء الأصلح بعد معارك البقاء الطويلة.

و سوف ننكر العامل الخارجي لأننا لا نراه.

فنحن نرى أنها تتحرك بمحرك داخلي فيها.

في نظريته عن النشوء و الارتقاء حينما قال إن عوامل (داروين)و هذا هو الخطأ الذي وقع فيه تتقدم بفعل الآليات ..التطور هي عوامل داخلية و إن الحياة تتقدم بحوافز باطنية دون يد هادية ترشدها لمجرد أنه لا يرى يد الصانع الخالق المبدع و هي تبدع و تخلق ..المادية داخلها.

نحن إذن أمام نظرية اكتشفت الوشائج العائلية بين أسرة الأحياء من نبات و حيوان و إنسان، و لكنها لم تستطع أن تفسر لنا كيف حدث الترقي بينها.

من ماء ..فنحن أمام إجماع بأن الحياة بدأت من الماء ..فإذا انتقلنا إلى كلام العلم عن مبدأ الحياة ..المستنقعات الذي تختمر فيه المادة و تتحلل و تتركب بقوة غير معروفة إلى الشكل الأول للحياة .لا أحد يعرف كيف نشأ من الماء و التراب ..(البروتوبلازم)

بنجومه و شموسه و كواكبه فنحن أمام إجماع من علماء الفلك بأن كل ..فإذا جئنا إلى مبدأ الكون كله شيء نشأ من الهواء من سحب الغاز و التراب الأولية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تكاثفت هذه السحب من الغاز و التراب بفعل الجاذبية بين ذراتها إلى أنوية في الوسط هي الشموس و إلى تكثفات أصغر حولها هي الكواكب.

هذا مبلغنا من العلم في قضية الخلق في عرض سريع موجز.

فماذا قال القرآن حينما تعرض لهذه القضية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان؟ و ماذا جاء على لسان (بيولوجيا)ذلك النبي الأمي الذي لم يكن يعرف لا هو و لا قومه و لا عصره معنى كلمة و (أنثروبولوجيا)و كيمياء عضوية و علم أجنة و تشريح و (جيولوجيا) ؟

•••

القرآن له أسلوبه المختلف عن كل الأساليب.. و هو حينما يشير إلى مسألة علمية لا يعرضها كما بالمعادلات (أينشتين)يعرضها عالم.. و لا كما يعرضها (بيولوجي)برواية التفاصيل التشريحية إنما يقدمها بالإشارة و الرمز و المجاز و الاستعارة و اللمحة الخاطفة و العبارة التي تومض في العقل كبرق خاطف، إنه يلقي بكلمة قد يفوت فهمها و تفسيرها على معاصريها و لكنه يعلم أن التاريخ و المستقبل سوف يشرح هذه الكلمة و يثبتها تفصيلا..

(فصلت – 53) ((سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق))

و الله يقول عن كلامه:

(آل عمران – 7) ((..و ما يعلم تأويله إلا الله))

و يقول عن القرآن:

(القيامة – 19) ((ثم إن علينا بيانه))

أي أنه سوف يشرحه و يبينه في مستقبل الأعصر و الدهور.

فماذا قال القرآن عن قصة الخلق؟

إنه يقول عن الله في البدء الأول:

(فصلت – 11) ((..ثم استوى إلى السماء و هي دخان))

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في البدء كان شيئا كالدخان جاء منه الكون بنجومه و شموسه:

(الزمر – 5) ((..يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل))

و هي آية لا يمكن تفسيرها إلا أن نتصور أن الأرض كروية و الليل و النهار كنصفي الكرة ينزلق هو ((يكور))بل إن استعمال لفظ ..الواحد منهما على الآخر بفعل دوران هذه الكرة المستمر
و يفرض علينا هذاالتفسير فرضا ..استعمال غريب تماما:
(يس – 39) ((و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم))

و العرجون هو فرع النخل القديم اليابس لا خضرة فيه و لا ماء و لا حياة.

(يس - 40) ((لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار و كل في فلك يسبحون))

بل إنه يصف الفضاء بأن فيه طرقا و مجاري و مسارات.

(الذاريات – 7) ((و السماء ذات الحبك))

و الحبك هي المسارات.

و يصف الأرض بأنها كالبيضة:

(النازعات – 30) ((و الأرض بعد ذلك دحاها))

و هو ما يوافق أحدث الآراء الفلكية عن شكل الأرض (البيضة)و دحاها أي جعلها كالدحية.

و يقدم فكرة الحركة الخفية من وراء السكون الظاهر:

(النمل – 88) ((..و ترى الجبال تحسبها جامدة و هي تمر مر السحاب))

و تشبيه الجبل بسحابة هو تشبيه يقترح على الذهن تكوينا ذريا فضفاضا مخلخلا، و هو ما عليه الجبل و الأرض كلها ..بالفعل، فما الأشكال الجامدة إلا وهم، و كل شيء يتألف من ذرات في حالة حركة بجبالها في حالة حركة.

هو تفسير غير صحيح ..و ما يقوله المفسرون القدامى من أن هذه الآية تصف ما يحدث يوم القيامة و ترى الجبال))لأن يوم القيامة هو يوم اليقين و العيان القاطع و لا يقال في مثل هذا اليوم ((تحسبها ..فلا موجب لشك في ذلك اليوم.

(طه – 105) ((و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا))

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالآية إذن ..هذه هي القيامة بحق، لا مجال هنا لأن تنظر العين فتحسب الشيء قائما و هو ينسف وصف لحال الجبال في الدنيا و لا يمكن أن تكون غير ذلك.

ثم يروي لنا القرآن بعد ذلك ما يحدث لمياه الأمطار:

(الزمر – 21) ((..ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض))

و هو بذلك يشرح دورة المياه الجوفية من السماء إلى سطح الأرض إلى جوفها إلى خزانات جوفية ثم إلى نافورات و ينابيع تعود إلى سطح الأرض من جديد.

ثم يأتي ذكر الحياة.

(الأنبياء – 30) ((..و جعلنا من الماء كل شيء حي))

(النور – 45) ((..و الله خلق كل دابة من ماء))

(الكهف – 37) ((..أكفرت بالذي خلقك من تراب))

(الحجر – 28) ((و إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون))

و الحمأ المسنون هو الطين المنتن المختمر.

فهو مرة يذكر أن الحياة خلقت من الماء و مرة يذكر أنها خلقت من تراب ثم يعود فيخصص و يقول من الطين أو على وجه الدقة الماء المنتن المختمر المختلط بالتراب ..و هو اتفاق غريب و دقيق مع اكتشافات العلم بعد ألف و أربعمائة سنة.

و في سورة الأعراف يروي بتفصيل أكثر:

((و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين)) (الأعراف – 11)

و في هذه الآية يحدد أن خلق الإنسان تم على مراحل زمنية

(الأعراف – 11) ((..خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم))

و الزمن بالمعنى الإلهي طويل جدا:

(الحج – 47) ((و إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون))

و في مكان آخر:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(المعارج – 4) ((تعرج الملائكة و الروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة))

ثم ..و هي شيء كالآباد و الأحقاب بالنسبة لنا، فإذا قال الله خلقناكم ثم صورناكم ..هذه إذن أيام الله معنى هذا أن آدم جاء عبر مراحل من ..اكتملت الصورة بتخليق آدم فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ..التخليق و التصوير و التسوية استغرقت ملايين السنين بزماننا و أياما بزمن الله الأبدي

(نوح – 14) ((و قد خلقكم أطوارا))

.و معناها أنه كانت هناك قبل آدم صور و صنوف من الخلائق جاء هو ذروة لها

(الإنسان – 1) ((هل أتى على الإنسان حين من الدهرلم يكن شيئا مذكورا))

و يقول القرآن عن الله إنه .إشارة إلى مرحلة بائدة من الدهر لم يكن الإنسان يساوي فيها شيئا يذكر :هو

(طه – 50) ((الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))

.أي إنه هدى مسيرة التطور حتى بلغت ذروتها في آدم
(الأنعام – 38) ((..و ما من دابة في الأرض و لا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم))

(نوح – 17) ((و الله أنبتكم من الأرض نباتا))

.ربط وثيق بين أمة الإنسان و بين أمم الدواب و الطير ثم ربط بين الإنسان و الحيوان و النبات

(المؤمنون – 12) ((و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين))

و إنما خلق من سلالات جاءت من ..و هي إشارة صريحة إلى أن الإنسان لم يخلق من الطين ابتداء هي سلالات عديدة متلاحقة كانت تمهيدا ..هناك مرحلة متوسطة بين الإنسان و الطين ..الطين ثم يحدثنا القرآن عن تخلق الجنين فيحكي لنا أن خلق العظام سابق ..لظهور نوع الإنسان المتفوق :على خلق العضلات

(المؤمنون – 14) ((..فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما))

:و معلوم في علم الأجنة أن نشأة العمود الفقري سابقة على نشأة العضلات و عن هذه النشأة يقول

(الزمر – 6) ((..يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث))

و أنه يجري داخل ..خلق من بعد خلق ..يكشف لنا الخلق داخل الرحم، فيصفه بأنه يتم على أطوار كل ..(الغلاف الأمنيوسي)ظلمة البطن و ظلمة الرحم و ظلمة :و الظلمات الثلاث هي ..ظلمات ثلاث

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أو هي ظلمات الأغشية ..و الجنين في قلبها، و هي حقائق تشريحية ..غرفة منها داخل الأخرى الثلاثة التي يتألف منها الجنين ذاته و هي حقيقة أخرى.

(النجم – 46، 45) ((و أنه خلق الزوجين الذكر و الأنثى، من نطفة إذا تمنى))

و نعرف الآن أن الحيوان المنوي الذي يمنى هو الذي يحدد جنس المولود إن كان ذكرا أو أنثى و ليس البويضة، فهو وحده الذي يحتوي على عوامل تحديد الجنس

sex determination factor

كيف جاء القرآن بهذه الموافقات التي اتفقت مع نتائج العلوم و البحوث و الجهود المضنية عبر مئات السنين..! مصادفة؟!

و إذا سلمنا بمصادفة واحدة فكيف نسلم بالباقي؟

و لا تظهر إلا بعد ..و كيف يخطر على ذهن نبي أمي مشكلات و قضايا و حقائق لا يعرفها عصره؟ موته بأكثر من ألف و ثلاثمائة سنة؟

و إذا أخذنا بالتفسير الغربي الملحد الذي يرى في ذلك الكلام الذي يجيء على لسان محمد صورة من نشاط عقل باطن انفتح تماما على الحقيقة المطلقة..إذا قلنا هذا فقد اعترفنا اعترافا مهذبا جدا و علميا .فما الحق المطلق سوى الله و ما الانفتاح على الله و الاتصال به إلا الوحي بعينه ..بالوحي

و لكن القصة لم تنته.

على ما حدث في ..فيطلعنا على بعض الغيب ..إن القرآن يزودنا بما هو أكثر من كل ما قاله العلم الملكوت في الملأ الأعلى عند خلق آدم و كيف أسكنه جنته يأكل منها رغدا كيف يشاء إلا من شجرة واحدة عينها له..و كيف أسجد له الملائكة.

و يروي لنا القرآن كيف أن الملائكة سجدوا لآدم:

(الكهف – 50) ((..إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه))

و يقول إبليس في كبرياء و غرور مبررا عصيانه للأمر الإلهي بالسجود لآدم:

(ص – 76) ((أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين))

و لكن الله وحده كان يعلم أن آدم سوف يتعذب نتيجة ..إنه لم يدرك حكمة الله في تشريف ابن الطين خلقته المتصارعة من التراب و من الروح و أنه سوف يعاني عناء هائلا و يتمزق بين رغبات جسده الهابطة و سبحات روحه و ضميره المتعالية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(البلد – 4) ((لقد خلقنا الإنسان في كبد))

.أي في مكابدة مستمرة و صراع و عناء

و إنه سيبلغ بهذه المكابدة إلى مرتبة أعلى من مرتبة الجن و الملائكة، و يفوز بمواهب و لياقات أعلى من الإثنين.

.و لهذا أسجد الله له الملائكة و سخرهم لخدمته و معونته

و لكن إبليس في كبريائه و غروره و تجبره فاتته هذه الحقيقة و لم يذكر إلا أنه خلق من نار و أن آدم خلق من طين و أنه خلق قبل آدم.

(الحجر – 27) ((و الجان خلقناه من قبل من نار السموم))

و هكذا رفض إبليس السجود ..و نار السموم هي النار الصافية بلا دخان أو من الطاقة الخالصة ذاتها لآدم و خرج من الحضرة الربانية رجيما مطرودا و بدلا من أن يرجع إلى الله تائبا آملا في رحمته و ثم أضمر الحقد و العداء و ..و هذه هي الخطيئة الثانية ..فإنه يئس تماما من هذه الرحمة ..مغفرته إنه الشيطان بعينه الذي ..الانتقام من آدم الذي تصور فيه سببا لطرده و هذه هي الخطيئة الثالثة يحاول أن يخرج من خطيئة بخطيئة و ينحدر من هاوية إلى هاوية.

و هكذا راح يغري آدم بالأكل من الشجرة و يزينها له و يصورها بأنها شجرة الخلود و هو يعلم أنها شجرة الموت.

(طه -121) ((و عصى آدم ربه فغوى))

و خيره في أن يختار الدخول في طاعته فيكون شأنه (إذ نفخ فيه من روحه)لقد منح الله آدم الحرية شأن النجوم في أفلاكها تجري على نواميس الله الموضوعة و تسلم نفسها لسننه أو يكون حرا مسئولا فيحمل الأمانة.
إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها))
(الأحزاب – 72) ((الإنسان إنه كان ظلوما جهولا

و الإنسان لم يدرك مخاطر هذه الأمانة لجهله فظلم نفسه بحملها، و لأن الله كان يعلم مخاطر حمل أمره ..فإنه لطفا منه و رحمة ..و كان يعلم أنها سوف تلقي بالإنسان في مهالك الغرور ..هذه الأمانة جنة الطاعة و الإسلام للناموس)بالطاعة و بالإسلام لكلمة الله بألا يأكل من الشجرة لتدوم له الجنة (الإلهي).

فيأكل من (بإغراء إبليس)و لكن الإنسان اختار أن يكون حرا مسئولا و أن يخرج عن الأمر الإلهي و حق عليه العقاب ..و هكذا وقع عليه التكليف و أصبح محاسبا منذ تلك اللحظة ..الشجرة.

.و كان العقاب هو الطرد و الإهباط من الجنة إلى عالم الكدح و العرق و التعب و المرض و الموت

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أن آدم رجع إلى الله تائبا طامعا في رحمته و أصر ..و كان الفرق بين خطيئة آدم و خطيئة الشيطان الشيطان على العصيان يائسا من رحمة الله.

(البقرة – 37) ((..فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه))

.و أقامه خليفة على الأرض يحكم فيها بإرادته و عقله ..و أسبغ الله عليه رحمته و وعده بهداية نسله

و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء)) (البقرة – 30) ((..و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك

يقول الملائكة ذلك الكلام لأنهم رأوا هذا الآدم و شاهدوا نشأته و مراحل تخليقه من أسلاف تسفك الدم و تتصارع بالمخلب و الناب و لكن الله يقول لهم:

(البقرة – 30) ((إني أعلم ما لا تعلمون))

و هو يعلم أن ذلك الإنسان قد استحق بهذه النشأة و هذه الجبلة المتصارعة من الطين و الروح درجة و هو يكشف هذه الحقيقة للملائكة ..و أنه قد اكتسب لياقات تؤهله للخلافة .أرفع من درجة الملائكة:

و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما (32)قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (31) (البقرة) (((33) ..أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات و الأرض

ها هو ذا آدم الأرضي و قد امتلك لياقات أكبر من لياقات الملائكة، و نفهم من هذا أن الله قد جعل من هي بداية الوحي و التنزيل و ((و علم آدم الأسماء كلها))فكلمة ..هذا الآدم أول أنبيائه على الأرض التعليم الإلهي.

و من حكاية تعليم الله الأسماء لآدم نتعرف على صفة أخرى في العقل البشري أنه معد و مؤهل لتعلم أسماء الأشياء فقط و ليس ماهيتها و أن العلم البشري هو علم بالحدود و المقادير و العلاقات و هو أمر ثابت في الفلسفة ..الخارجية فقط، و أنه لا يستطيع أن يدرك كنه شيء.

بمعنى مرب و راع و معلم و هاد رؤوف رحيم ودود يعنى بمخلوقاته و ((رب))و الله في القرآن يخلق لها الحيل و الأسباب و يوفر لها الأرزاق.

.و قد وعد الله آدم بإرسال الأنبياء لهداية نسله و أولاده

((قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون)) (البقرة – 38)

و ذلك بأن يفطن الإنسان إلى خطئه و يعود إلى ..و يشرح لنا القرآن معنى إتباع الإنسان لهدى الله

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و هذ هي الإنابة و الرجعة التي ..جنة الطاعة و الإسلام للنواميس الإلهية ..الجنة التي ضيعها أبوه قدس الأقداس الذي)أن يفطن الإنسان إلى أنه لا يملك إلا ضميره ..تتكرر في كل صفحة في القرآن و قد وكل أمر نفسه إلى خالقه و ..فيسلمه خالصا لله و يتجه به مختارا طائعا (تركه الله حرا بالفعل و بذلك يكون أفضل من الجمادات و من النجوم في مداراتها التي تسلم نفسها لسنن ..خضع لنواميسه على حين يسلم هو نفسه لربه محبة و اختيارا و طواعية ..الله و قوانينه قهرا و بلا اختيار.

و أن الله هو الخالق المهيمن على ..يفعل هذا و قد أدرك أن مشيئة الله واقعة إن طوعا و إن كرها جميع الأسباب و أنه هو الوحيد الذي يملك الهداية و العلم و القدرة.

ذرية آدم كانت لنا حياة قبل حياتنا :و تعود فتطالعنا آيات أخرى غامضة في القرآن نفهم منها أننا نحن الأرضية.

و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من (172)أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (((174)و كذلك نفصل الآيات و لعلهم يرجعون (173)بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (الأعراف)

يفهم منها أننا كنا في حضرة الله قبل النزول إلى ..إن الله يفصل لنا في هذه الآيات واقعة غريبة و أن الله أشهدنا على ..ربما كأرواح أو نفوس لا أحد يدري (في عالم المثال و الملكوت)الأرحام ربوبيته و أخذ منا ميثاقا بهذا الشهود حتى لا نعود فنكفر و نبرر كفرنا بأننا كنا ضحية الآباء.

:(آل عمران)و نعود فنقرأ عن هذا الميثاق في آيات أكثر غموضا في سورة

و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن)) قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم (عهدي)به و لتنصرنه قال أأقررتم و أخذتم على ذلكم إصري (آل عمران – 81) ((من الشاهدين

كيف كان ذلك؟ ..ها هم أولاء الأنبياء مجموعون ليأخذ الله عليهم ميثاق غليظا بأن يؤيد بعضهم بعضا ..و متى؟ ..و أين؟ ..

و إلى أنه ..هي آيات كواشف تشير إلى مرحلة روحية عشناها في الملكوت قبل النزول إلى الأرحام ..كان لنا ثمة وجود قبل الميلاد كما أن لنا وجود بعد الموت

الخالق الذي خلقنا أرواحا و البارئ الذي أعطانا ..((الخالق البارئ المصور))و في أسماء الله أنه و المصور الذي صور لنا القوالب المادية ..رخصة الوجود كما يعطي الملك براءة الوسام لحامله التي نزلنا بها في الأرحام.

إلى هذا الوجود الروحي السابق –صلى الله عليه و سلم –و في حديث شريف يشير نبينا محمد ((كنت نبيا و آدم يجدل في طينته)) :للميلاد حينما يقول.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و يقول الله في القرآن لمحمد:

((قل إن صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين)) (الأنعام (163) (162)

و هي كلمات تعني سبق الوجود المحمدي على جميع الأنبياء إذ يعتبر القرآن جميع الأنبياء مسلمين و محمد أولهم.

و هي إشارات تدل على وجود روحي سابق على الميلاد كنا فيه في عالم ملكوتي قبل أن ننزل إلى الأرحام.

•••

و يحدثنا القرآن في قصة الخلق عن السماوات السبع.

((الذي خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهن ..)) (الطلاق – 12)

((الذي خلق سبع سماوات طباقا ..)) (الملك – 3)

((و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ..)) (المؤمنون – 17)

((و بنينا فوقكم سبعا شدادا)) (النبأ – 12)

أن يكشف لنا العلم مثلا أن .. و السماوات السبع سر لا يفهمه العلم و لكن هناك أمرا مثيرا للتأمل الضوء سبعة ألوان هي ألوان الطيف و سبع درجات من الأطوال الموجية من الأحمر إلى البنفسجي و بالمثل السلم .. ثم يعود فيتكرر السلم في سبع درجات أخرى من تحت الأحمر لفوق البنفسجي الموسيقي سبع درجات ثم تعود الثامنة فتكون جوابا للأولى و هكذا تتكرر النغمات سبعات سبعات.

أن الجنين لا يكتمل نموه إلا في الشهر السابع، و أنه إذا ولد قبل .. و نعرف أيضا في علم الأجنة السابع يموت.

اتفق .. و منذ بدأنا نعرف الأيام قسمناها سبعات سبعات، و عرفنا الأسبوع كوحدة زمنية للحساب الناس من كل الأجناس و الأديان و الألوان على ذلك منذ الماضي السحيق و التقوا عليه دون أن يكون بينهم اتفاق مكتوب .. لماذا؟ لا ندري .. و كيف؟.

ثم نكتشف أخيرا أن درجات الطيف السبعة في ضوء الشمس سببها نقلات سبعة للإلكترون عروجا كلما قفز الإلكترون في فلك خارج النواة أطلق شحنة .. (الإيدروجين) في أفلاك سبعة حول نواة ذرة هي التي تعطي الطيف المناظر.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من فرط الحرارة التي (المكون من غاز الإيدروجين)و تحدث هذه القفزات في باطن الشمس فتنفرط الإلكترونات خارجة من ذراتها و تطلق الضوء الشمسي المعروف ..تتجاوز ملايين الدرجات .

ثم في عودته ..يعرج صاعدا في سبعة أفلاك أشبه بالسماوات السبع (الإلكترون)و نفهم من هذا أن فتنطلق ..هبوطا من سماء إلى سماء تحتها لا بد له أن يتخلص من غل من أغلال الطاقة التي امتصها إلى أن يعطينا الأطياف السبعة للضوء الأبيض ..هذه الطاقة على شكل حزمة ضوئية من طيف معين .

.و كأنما الذرة و هي النموذج المصغر للكون فيها سبع سماوات

و أن ..هل معنى هذا أننا سوف نكتشف يوما ما أن الوجود مرتب في سبع درجات في جميع حالاته مثلما ..سبع سماوات و سبع أرضين ..هناك سلما يكرر نفسه من أسفل سافلين إلى أعلى عليين و إن ما ورد في القرآن حول ..للضوء سبع درجات و الصوت سبع نغمات و الإلكترون سبعة أفلاك عن جهنم التي لها سبعة أبواب و عن الأرضين السبع و السماوات السبع و عن سبع)الرقم سبعة ..(سنوات عجاف و سبع بقرات سمان و عن استواء الله على عرشه في اليوم السابع من أيام الخلق .كل هذه إشارات إلى هذا السر الخطير من أسرار الكون

.لا شك أن القرآن هنا يبدو بكل ثقله و خطورته مشيرا إلى مسألة علمية غاية في الأهمية

•••

:و مثال ذلك اللمحة العلمية الأخرى التي نصادفها في القرآن حينما نقرأ عن الله عز وجل أنه

(الأنعام – 95) ((..إن الله فالق الحب و النوى يخرج الحي من الميت و مخرج الميت من الحي))

و قد فهم منها المفسرون القدامى انفلاق نواة البلحة عند الإنبات و أنه بهذا تجدد النخلة حياتها فتخرج .الساق الحي من النوى الميت

فهل كانت مصادفة أن يكشف لنا العلم التشريحي أن الخلية أيضا تجدد حياتها بأن تنفلق نواتها و أن .هذه هي الطريقة التي تلد بها الخلية فتصبح خليتين

و هل كانت مصادفة أن يكشف لنا العلم أن الذرة لا تخرج طاقتها المكنونة إلا بانفلاق نواتها أيضا .(ميلاد الطاقة الذرية من المادة الموات)فيخرج منها الحي من الميت

.هي مجرد تأملات

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

•••

و الشيء نفسه حينما تحكي لنا سورة ياسين عن الله:

(يس – 36) ((الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض و من أنفسهم و مما لا يعلمون))
و نعلم أن الله خلق النبات من زوجين ذكرا و أنثى كما خلقنا من زوجين و الجن من زوجين.

و ما لم نكن نعلمه و ما كشفه لنا العلم أن هذه الزوجية هي في الأشياء أيضا:

(الذاريات – 49) ((و من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون))

فالكهرباء فيها الشحنتان السالبة و الموجبة.

و المغانطيسية فيها الاستقطاب إلى قطبين.

و في الذرة الإلكترون و البوزيترون.

و البروتون و النيوترون.

الجزيء اليساري و الجزيء اليميني ..و في الكيمياء العضوية.

و المادة المضادة ..و نعرف الآن المادة.

و الثنائية الإزدواجية في تركيب الأحياء و الجمادات يكشف لنا العلم أسرارها كل يوم.

و هي إشارات و لمحات و قطرات من بحر القرآن المليء بالكنوز و الأسرار.

•••

و ربما كان أعمق هذه الأسرار ما جاء في القرآن وصفا ليوم القيامة بأن البحار تفجر و تضرم فيها النيران:

(التكوير – 6) ((و إذا البحار سجرت))

معناها أضرمت نارا ((و سجرت)).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

:و في سورة الانفطار يعود القرآن إلى هذه الإشارة

(الانفطار) (((4)و إذا القبور بعثرت (3)و إذا البحار فجرت))

:و في سورة الطور يقسم الله بهذا الحدث فيقول جل من قائل

(الطور) (((7)إن عذاب ربك لواقع (6)و البحر المسجور))

.إنه يقسم بالبحر إذ يفجر و يضرم نارا يوم القيامة بأن العذاب واقع و أنه حق

في نظري لغزا ((البحر المسجور))و قد ظل ..و القسم فيه لفت نظري لأهمية الحدث و جسامته عجيبا حتى وقعت في يدي خريطة لتوزيع الأحزمة البركانية و الزلزالية على الأرض في أثناء قراءة .و كانت الخريطة بداية لدوامة من التأمل .عن النشاط البركاني و أسراره

يقول لنا بالرسم و الإحصاءات إنه من خمسمائة (بو)فالمؤلف و هو العالم الجيولوجي الدكتور بركان و هي كل ما نعرف من براكين على الأرض وجد أن معظم هذه البراكين تصطف في حلقة و أعجب من هذا أنه ..حول المحيط الهادي و في خط بطول البحر المتوسط و خط بحافة الأطلسي و معنى هذا أن جوف الأرض ..وجد أن قاع المحيط الهادي يتكون من البازلت و هو صخر بركاني الناري هو أقرب ما يكون إلى السطح عند قاع المحيط الهادي و البحرالمتوسط و الأطلسي، و أن هذه الأمكنة تحت الماء تمثل نقاط الضعف في القشرة الأرضية حيث يحدث بين وقت و آخر أن تنفجر .البثور البركانية فتقذف بالحمم من جوف الأرض الملتهب إلى السطح

ثم يمضي المؤلف فيحصي لنا عددا من أعظم تلك البراكين التي تشكل حلقة من النيران حول الماء و و (كركاتوا)و بركان (تال)و بركان (مايون)و بركان (فوجياما)تحت الماء يذكر لنا منها بركان و البراكين (شيمبوراز)و بركان (كوتوباكسي)و بركان (باريكوتين)و بركان (أورزابا)بركان :هذا غير جزر بركانية تقوم وسط المحيط مثل ..(مونت لاسن و مونت هود و مونت رينير)الثلاثة و من أعجب مايراه السائحون فيها ..و هي مجموعة من الجزر شيدتها البراكين (هاواي)جزر و فيها يمكنك أن ترى ..أي بيت النار (هاليوما)النارية و يسميها أهل البلاد (كيلاويا)مشهد حفرة رأي العين الحمم المتوهجة و هي تغلي و تفور و تبصق نافورات النار على أعماق سحيقة داخل .الفوهة

بصقلية و إلى الشمال منه يقع (أتنا)هو بركان (فيزوف)و بين براكين البحر المتوسط أكبرها بعد الذي يثور بصفة مستمرة و يلمع كل ليلة بالضوء الأحمر و يسميه الملاحون (سترمبولي)بركان .منارة البحر المتوسط

و في الأطلسي ..(أرارات)و في شرق البحر المتوسط مجموعة أخرى من البراكين من بينها جبل .و كلها جزر بركانية (الكناري و آزور و كاب فرد)جزر

من النشاط الزلزالي يقع هو الآخر في % 80ثم تطالعنا الإحصاءات بحقيقة أخرى دامغة فتقول إن .الحزام الذي يحتضن المحيط الهادي و إن معظم الهزات الزلزالية تقع في قاع البحار

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إن ذروة الاضطراب البركاني و الزلزالي واقعة إذن حول الماء و تحت الماء حيث جوف الأرض الناري المتأجج بالحرارة قريب من السطح، لا يحفظه من التفجر إلا توازن القشرة الأرضية الدقيق و الجبال الهائلة التي تعمل كثقالات و أوتاد تحفظ هذه القشرة في مكانها، و ترسيها فلا تميد فوق بحر النار المضطرب في الداخل.

و في ذلك يقول القرآن عن تلك الجبال الرواسي.

(لقمان – 10) ((..و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و بث فيهما من كل دابة))

و هو وصف علمي و (النبأ – 7) ((و الجبال أوتادا)) ..و في مكان آخر يصف الجبال بأنها أوتاد دقيق فهي بالفعل أوتاد..

فإذا جاء وعد الآخرة و نسفت هذه الجبال تدفقت حمم النار من نقطة الضعف الكبرى و هي قيعان البحار و ألقت الأرض بجوفها الملتهب.

(الزلزلة) (((2)و أخرجت الأرض أثقالها (1)إذا زلزلت الأرض زلزالها))

الذي فجرت مياهه ((البحر المسجور))و أضرمت النيران في مياه البحار و المحيطات و كان ذلك ..و الذي أقسم به الخالق .نارا

(النازعات – 36) ((و برزت الجحيم لمن يرى))

و نعلم أن الحرارة في جوف الأرض تبلغ ألوف الدرجات، و أن بطن الأرض هو أتون فوار من الحديد المنصهر و الحجارة المنصهرة و الحمم، و لعل هذا الباطن الناري هو الجحيم التي يقول فيها خالقنا:

(الشعراء – 91) ((وبرزت الجحيم للغاوين))

(النازعات – 36) ((و برزت الجحيم لمن يرى))

من الجوف إلى ..و الإبراز كلمة دقيقة محددة تعني إخراج شيء من حالة بطون إلى حالة ظهور السطح.

و هو ..و لعل هذا الباطن الفوار هو أسفل سافلين الذي سوف تتهابط إليه الأرواح الكثيفة الظلمانية تلك النار التي وقودها الحجارة.

تلتقي فيها روعة البلاغة بدقة العلم ..و كلمات بعيدة الغور ..و لمحات ..هي إشارات.

و أن تكون تلك الموافقات العديدة بين أحدث علوم العصر ..و لا يمكن أن يكون هذا الالتقاء مصادفة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.أمورا عشوائية اعتباطية جاءت مصادفة و اتفاقا ..و بين كلمات القرآن الأزلية

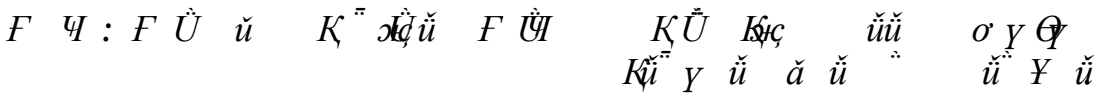

الجنة و الجحيم

و ..كان من أسباب انصرافي عن القرآن في شبابي ما قرأته عن أنهار العسل و أنهار الخمر في الجنة فاعتبرت هذه سذاجات و انسحب حكمي على القرآن ثم على ..أنا لا أحب العسل و لا أحب الخمر الدين كله.

.لم يكن إلا أنا ..و الساذج في واقع الأمر

و كنت ..فأنا لم أحاول أن أتفهم النص القرآني و لا أن أعكف حتى على ظاهر عبارته فما بال باطنها و غطت هذه الشهوة على كل شيء ..و كان الانصراف غايتي و شهوتي ..في عجلة من أمري .و فاتتني أمور كانت شديدة الوضوح ..فضاعت معالم الحقيقة من أمامي

فماذا يقول القرآن في الجنة؟

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ)) خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ [محمد] (((15)فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ

.و ليست إيرادا لأوصاف حرفية ((..مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)) .و الآية تبدأ بأنها ضرب مثل فهذا أمر مستحيل لأن الجنة و الجحيم أمور غيبية بالنسبة لنا لا يمكن تصويرها في كلمات من .قاموسنا

فتحتار كيف تصفها له فهي بالنسبة له غيب خارج عن ..تماما كما يسألك الطفل عن اللذة الجنسية و بعد أن تعجز عن توصيل المعنى إليه تقول على سبيل ضرب المثل و على .حدود خبراته تماما .إنها شيء مثل السكر ..سبيل التقريب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.لقد اخترت له شيئا من خبراته اليومية

.و مع ذلك فما أبعد المعنى

.و ما أبعد الفارق بين اللذة الجنسية و بين طعم السكر العادي المبتذل

.و بالمثل كان موقف القرآن في مخاطبة البدوي البسيط

فكل ما يجد من مياه .و كل أمنية البدوي الذي يعيش في هجير الصحراء أن يعثر على نبع ماء عذب .ما هي إلا ينابيع مالحة آسنة

فيضرب له القرآن المثل من ..فما أسرع ما يختمرو يتغير طعمه في حر الصحارى ..و كذلك اللبن .أعز ما يتمنى

[البقرة] (((26) ..إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا))

.فكل الغاية هي تقريب تلك المعاني المستحيلة بقدر الإمكان

و ألوان من التقريب و ألوان من ..و كل ما جاء عن الجنة و الجحيم ما هو إلا ألوان من ضرب المثال .الرمز

:يوم الرضوان قائلا (أشعيا)و في العهد القديم يصف

يصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن و وليمة خمر و يمسح السيد الرب)) .((الدموع من كل الوجوه

:(أفرايم)و في تراتيل القديس

و كل ..رأيتهم تقطر منهم العطور و تزينهم ضفائر الفاكهة و الريحان ..و رأيت مساكن الصالحين)) .((من عف عن الشهوات تلقته الحسان في صدر طهور

.إنها صور مشتركة في جميع الأديان

:و لكن القرآن لا يتركنا في ضباب الأمثلة فما يلبث أن يقطع بالقول الفصل

[السجدة] (((17)فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

.إنه يحيل القضية كلها إلى غيب لا يمكن التعبير عنه بلغة الأرض

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.هنا كل منى العين و القلب مما لا يمكن تصويره بألفاظ

.لا هي بالحياة و لا هي بالموت ..أما جهنم فهي شيء فظيع

[إبراهيم] (((17)وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ))

[البقرة] (((24) ..فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ))

:ثم يشرح لنا أكثر

(((16)لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ))
[الزمر]

.و لكنه ليس تخويفا على غير أساس .فيقول إنه يورد الألفاظ للتخويف ..ها هو ذا يبين لنا حقيقة جديدة

إذا لم تنظف أسنانك بالفرشاة :إنه مثل تخويفك لابنك حين تحذره من إهمال نظافة أسنانه و تقول له .تقول ذلك محبة منك و رحمة لطفلك ..فإن السوس سوف يأكل أسنانك

.إنما هي ميكروبات و فيروسات غير مرئية ..السوس لن يأكل أسنانه ..و بالطبع

لأن ما سوف يحدث له إذا أهمل نظافة أسنانه سيكون ألعن من أكل ..و لكن التخويف كان على أساس .السوس

.يعرف أنها أسوأ من كل ما سمع من تحذيرات ..و من جرب الآلام الرهيبة لضرس مسوس

..إنه تخويف العزيز الرحيم من شيء سوف يحدث بالفعل و سيكون أسوأ من جميع ما قيل و كتب .مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر

.و الثواب حق ..إن العذاب حق

.و هنا يعترض معترض

إنسانا مسكينا لا يساوي ذرة أو هباء ..!و يعذب من ..ألا يتنافى مع رحمة الله و مع عظمته أن يعذب .في مملكة الله اللانهائية

و هو اعتراض كان يشغلني دائما و كان يصرفني دائما عن قبول فكرة العذاب و بالتالي عن القرآن و .عن الدين كله

.و السؤال يحتاج منا إلى أن نتعمق في معنى كلمة عذاب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.و الله بالفعل لا يعذب

.إنما هو فقط يعدل

لو أنه فعل ذلك بحجة ..و بين قتيل و القاتل الذي قتله ..و لو أنه ساوى في آخرته بين ظالم و مظلوم ..فالمساواة بين غير المتساويين ظلم فادح ..و عن العدل ..الرحمة لكان أبعد ما يمكن عن الرحمة .تعالى الله عن أن يقع فيه

ثم هي الفوضى أن يكون الأبيض في عين الله كالأسود، و الأعمى كالبصير، و الميت كالحي، و الذي .يسمع كمن لا يسمع

.و الكون ينفي الفوضى

تأمل كل جزئية في الكون تكشف لك عن النظام المحكم و القانون الذي لا يفوته واحد من ألف من .المليجرام

و حركة إليكترون من مدار إلى مدار في داخل الذرة لا تتم إلا بحساب، فهو لا بد أن يعطي حزمة من الطاقة ليقفز إلى الخارج قفزة مساوية، و لا بد له أن يمتص حزمة أخرى ليقفز إلى الداخل قفزة فما بال الإنسان العاقل و هو بالنسبة للإليكترون ..و هو إليكترون ..إنه محاسب في حركاته ..مساوية و ليس في هوان ..و قد نفخ الله فيه من روحه فهو شيء عظيم ..كالمجرة و الفلك بالنسبة للإنسان .الذرة و لا الإليكترون

ثم ما معنى أن يموت مظلوما و ظالما فيصبح ترابا بلا بعث و يذهب ما حصله من خير و شر و علم .و حكمة سدى

.إنها تكون مجرد سخافة

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا)) [الجاثية] (((24)يَظُنُّونَ

.لأن الحياة تكون به مجرد لعبة عبثية و باطل في باطل ..و هو ظن خاطئ

[القيامة] (((36)أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى))

إنه ليتفكر في خلق الكون و نواميس الفلك المحكمة و يهتف من .و العقل المتأمل لا يقول هذا أبدا :أعماقه

[آل عمران] (((191) ..رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ))

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و لا بد أن يتضح لنا ..لا بد أن هناك استمرار بطريقة ما ..مستحيل أن ينتهي كل هذا إلى باطل
.الحكمة من كل هذا في ميقاتها

إنها قضية عدالة و قضية منطق و ليست قضية تعذيب لهدف التعذيب، و الذي سوف يحدث لنا بعد
.البعث هو أن كل واحد ستلازمه رتبته و درجته التي حصلها في الدنيا لا أكثر

[الفرقان] (((77)فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا))

:فمن عاش لا يسمع و لا يعقل و لا يبصر الحق سوف يحشره الله أعمى

قَالَ رَبِّ لِمَ (124)وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى))
(((126)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (125)حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا
[طه]

.((سوف يكون لزاما))إنها مجرد صفتك تلازمك

.و لكنك تعذب نفسك بجهلك ..إن الله لا يعذبك

[النحل] (((118)وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))

من عاش حيوانا لا هم له إلا أن يأكل و يضاجع فهو في الحياة الثانية له رتبة الحيوان أو الرتبة
.السفلى بالنسبة لغيره ممن عاشوا يتأملون و يعقلون

[الإسراء] (((72)وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً))

فما بين اثنين سوف يكون أكثر بمراحل من فارق الدرجة ..و في الآخرة تتزايد الفروق و تتضاعف
.بين حيوان و إنسان

[الإسراء] (((21)انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً))

[الأنعام] (((124) ..سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ))

لأنه سيكون حسرة على صاحبه حينما يرى مكانته و مكانة ..إن هذا الصغار سيعذب و يحرق
.الآخرين و مقدار ما خسر و مقدار ما كسبوا

[آل عمران] (((192) ..رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ))

.الله يعتبر الخزي في هذه الآية أشد من النار إيلاما

المجرم فيه يصر على .((عالم البكاء و صرير الأسنان))و كما يصف الإنجيل هذا العالم الآخر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و يصف القرآن .أسنانه ندما على ما يرى من هوان شأنه أمام الدرجات العالية التي أصابها الآخرون من الحق ..المقربون من الله .أهل الجنة في تلك الدرجات بأنهم المقربون.

[القمر] (((55)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ))

و يروي لنا أن الله يكلمهم و ينظر إليهم و أنهم على أسرة الملك متقابلون قد نزع الله ما في قلوبهم من غل فأصبحوا إخوانا متحابين.

و أنه لا حرب فيها و لا كذب و لا لغو و لا سباب ..و يصف الجنة بأنها دار السلام.

و بعد أن يستطرد في الآية الثانية و السبعين من سورة التوبة في وصف الجنات التي تجري من تحتها الأنهار و المساكن الطيبة في جنات عدن يختم الآية قائلا:

[التوبة] (((72)وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ))

رضا الله أعظم من كل تلك اللذات المادية ..إن مقام الرضا ..و المعنى واضح.

ثم يتأكد المعنى من هذه الآية في سورة الإسراء التي توصي بالتهجد في الليل.

[الإسراء] (((79)وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا))

كل واحد يبعث على رتبته و مقامه .إنها إذن مسألة مقامات.

الله لا يعذب للعذاب.

و إنما يأتي العذاب و احتراق الصدر من إحساس من هم في أسافل الدرجات بالغيرة و الحسد و الهوان و الخسران الأبدي الذي لا مخرج منه ..و سوف يحرق هذا الإحساس الصدور كما تحرقها .و سوف يكون هو النكال و التنكيل ..النار و أكثر ينكل الواحد منا بنفسه بالدرجة التي وضع نفسه فيها و التي انحدر إليها بأعماله في الدنيا.

و مما يدل على أن النار في الآخرة هي غير ما نعرف من نارنا هذه الآيات من سورة الأعراف:

قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ (37)وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ)) حتى إذا أدرك بعضهم)وَالإِنس فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ (بعضا [الأعراف] (((38)تَعْلَمُونَ

و في مثل نارنا لا يمكن أن يجرى حوار بين اثنين ..إنه حوار و مكالمة في النار تجرى بين المعذبين يحترقان.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.((لكل ضعف و لكن لا تعلمون))و المعنى الثاني العميق في الآية

إن أمامنا اثنين يتعذب الواحد منهما ضعف الآخر مع أنهما في المكان نفسه، و معنى هذا أن العذاب و هذا لا ينفي أن يكون العذاب المذكور حسيا، بل إنه من ..في الشخص و ليس في المكان ذاته كما يحدث أن يتعرض اثنان للحر اللافح فيصاب)الممكن أن يكون معنويا و حسيا في نفس الوقت و الصداع ألم (أحدهما بالصداع على حين يتحمل الآخر بسبب اختلاف درجات اللياقة عند الإثنين حسي و معنوي.

.و لا ينفي أن يكون نارا و لكنها نار غير ما نعرف من نارنا

و يروي القرآن عن أهل الجنة و كيف أنهم يتذكرون و هم يأكلون فاكهة الجنة أنهم قد رزقوا أنواع .(مع الفارق في الجودة)هذه الفاكهة حينما كانوا على الأرض

لسن كزوجات الأرض يعانين الحيض)و كيف أن لهم زوجات في الجنة و لكنهن زوجات مطهرات .(و المخاض شكسات غيورات متسلطات

:تقول الآية عن هؤلاء الصالحين في الجنة

كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ)) [البقرة] (((25)مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

فيها كل ما نعرف على الأرض و لكن مع تفاوت هائل في ..و الجنة بهذه الصورة هي درجة و مقام تفاوت مثل التفاوت بين الزمن و الأبد و مثل التفاوت الذي ذكرناه بين ..تفاوت يفوق التصور ..الرتبة .طعم قطعة السكر و طعم اللذة الجنسية الحادة بالنسبة لبالغ

و إذا ذكر العسل في مثل هذه الجنة فهو عسل و لكم لا كما نعرف من عسل، و اللبن هو اللبن و لكن .لا كما نعرف من لبن، و النساء لا كما نعرف من نساء

يقول الشاعر عن امرأة يحبها إن جسمها يضيء ..إنها ستكون أشياء مدهشة كالغيب بالنسبة لما نعلم .إنها أحلام يمكن أن تكون هناك حقائق ..كأنها صيغت من النور

نار تنبت فيها شجرة لها ثمر ..فهي نار لا كما نعرف من نار ..و بالمثل ما يروي القرآن عن النار و المعذبون فيها يتكلمون و يتحاورون فأجسادهم ..و فيها ماء حميم يشربه أهلها ..(شجرة الزقوم) لا يمكن أن تكون لها نفس كيمياء الأجساد كما نعلمها و إلا لتبخرت دخانا في لحظات و لما استطاعوا .أن يتبادلوا كلمة

ربما كيانات لها ذات الهيئة و الصورة و ..و معنى هذا أننا سوف نبعث أجسادا و لكن لا كالأجساد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إنها لن تكون الأجساد الترابية التي نتكون منها الآن في ..لكن من مادة مختلفة هي بالنسبة لنا غيب حياتنا الأرضية.

و لهذا يمكن أن تتضاعف المتع حسيا و معنويا بطريقة نجهلها.

كما تتضاعف درجات العذاب حسيا و معنويا عما نعلم و كما يتوزع الناس مراتب و درجات بحسب تكون لكل مرتبة مواصفاتها الحياتية التي تكفل لمن فيها حظوظا من السعادة أو الشقاء كل ..لياقتهم حسب قدره، و أتصور أن أعلى الناس قدرا في الجنة هم الذين سيرتفعون عن متع الحواس و جنة الحواس و يختار لهم الرحمن درجة الحياة الروحية الخالصة إلى جواره في سدرة المنتهى، حيث لا تكون اللذة هي لذة طعام و لا لذة شراب و لا لذة حور عين و إنما لذة النظر إلى الله في كماله و لذة تأمل الحق و الجمال و صورة الخير المطلق.

[القمر] (((55)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ))إنها لذة الجالس

و هي مرتبة المفضلين من الأنبياء و من في مقامهم.

و هكذا تشتمل الجنة على جميع الدرجات من المتع الحسية من مأكل و مشرب ارتفاعا حتى المتع الروحية الخالصة ينال كل منا ما تؤهله له رتبته.

كل هذه آيات كواشف ذات دلالة تدلنا على أن النار ليست هي نارنا و لا الجنة هي سوق الخضار و لا الله هو الباطش الإرهابي.

و إنما الله سوف يبعث كل واحد على رتبته و مقامه و درجته، لأن هذا عين العدل و هو العادل.

و إنما سوف يتأتى العذاب من تفاوت الرتب تفاوتا عظيما، ثم بالسقوط في تقييم أبدي لا مخرج منه يلزم صاحبه كما تلزم الإصبع بصمتها.

و هو عذاب أكيد و جحيم أكيد سوف نراه عيانا و يقينا:

[التكاثر] (((7)ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (6)لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (5)كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ))

فقد حذرنا و خوفنا بالألفاظ المجلجلة و أرسل لنا ..و لأن الله يعلم أن هذا العذاب سوف يكون رهيبا فعل ذلك رحمة منه و ..الأنبياء مبشرين منذرين مؤيدين بالمعجزات و الخوارق و الآيات و الكتب و هو القائل في حديثه القدسي ..حنانا و عطفا: ((سبقت رحمتي غضبي)).

و هو يوم ..و في سورة الفاتحة يصف نفسه أولا بأنه الرحمن الرحيم قبل أن يقول مالك يوم الدين يوم يحق القول على العالمين بلا رجعة ..يوم الغضب ..الحساب.

و لأنه رحيم فقد فتح باب التوبة و إصلاح الخطأ على مصراعيه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(53) ..قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)) [الزمر] ((

:ثم أقام شروط المغفرة

[طه] (((82)وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى))

[العنكبوت] (((45) ..وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)) :ثم قال ..و أمر بالصلاة

ينجيك و ..أن تتذكر أن هناك قوة إلهية و أن يشخص هذا المعنى في ذاكرتك و في أفعالك على الدوام .يحقق لك شرط المؤمن و يكون أفضل من صلاة المصلي الذي ليس في قلبه ذكر

فالقرآن نفسه اسمه ذكر، و التدين و .في القرآن كلمة عميقة المعنى و الدلالة ((الذكر))و كلمة :الإيمان هو مجرد تذكر

[الزمر] (((9)إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ))

[الصافات] (((13)وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ))

[الحجر] (((9)إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))

[القمر] (((17)وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ))

[الغاشية] (((22)لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (21)فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ))

[ص] (((29)وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ))

[الأعراف] (((201)إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ))

.و هنا ينبغي أن نقف وقفة تأمل طويلة

.فما هو هذا التذكر المطلوب

إن المعارف كلها تكون مخبوءة مكنوزة داخل نفس الإنسان و :إن أحدث النظريات النفسية تقول لنا بارتفاع حجب النفس و .و لهذا فالتعلم هو في حقيقته تذكر ..لكن تحجبها عنه غرائزه و شهواته .و لا يكون تعلما من عدم ..شفوفها

.و إنما هو فقط يتذكر حقيقة باطنة في روحه، ولد بها (4 = 2 + 2)فالطفل لا يتعلم أن

عالم الملكوت ..و بالمثل الإحساس بالجمال و الطرب هو نوع من التذكر المبهم لعالم القدس و ما فيه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.الذي كنا فيه قبل النزول إلى الأرحام

و إنما ..و لهذا السبب فإن جمال المرأة مثلا هو جمال زائر و ليس جمالا مقيما لأنه ليس جمالها هي ثم ما يلبث أن يفارقها حينما يتغلب قانون المادة و الشيخوخة و ..هو ظل ينعكس عليها من الملكوت .التراب

.كانت لنا ثمة حياة كأرواح ..قبل ميلادنا

:و في ذلك تقول الآية القرآنية البديعة

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا)) [الأعراف] (((172)أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ

.و الآية تروي ما كان في الغيب قبل الميلاد و قبل النزول إلى الدنيا

..و كل الخلائق مما خلق الله و يخلق و سيخلق مثل الذر في كفه ينظر إليهم و يشهدهم على أنفسهم و هو بهذا يأخذ عليهم ميثاقا غليظا لأنه يعلم أنه بعد الهبوط في ..فيقولون بلى شهدنا ..ألست بربكم الأرحام و انسدال حجاب اللحم الكثيف و نزول غشاوة الحواس و الشهوات و الغرائز و الأهواء أنهم .و سوف يتخبطون في نكران وكفر و جهالة ..سوف ينسون تماما

.رحمة منه يرسل لهم الأنبياء يذكرونهم ..و هو

: -صلى الله عليه و سلم –و يقول لمحمد

[الغاشية] (((22)لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (21)فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ))

.و يقول عن الإيمان إنه حياة

[الأنفال] (((24) ..يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ))

هو فطنة الإنسان ..لأن اتصال الوجود الدنيوي بالتذكر بالوجود الملكوتي الأول ثم بالوجود الأخروي .و هي الحياة كل الحياة .إلى حياته بكاملها

لعلنا في صلاتنا العميقة ..و الله ليس بحاجة إلى صلاتنا و لا إلى صيامنا و لكن نحن المحتاجون .و نستمد منه حياتنا ..نتذكر و لعلنا بالعبادة و التوجه نتصل بنبع وجودنا

لأن الله هو الحي ..و ليس الله .نحن الذين نحتاج إليها لتكون لنا حياة .إن الصلاة و العبادة استمداد .بذاته المستغني بوجوده عن كل شيء

.الحي الذي به الحياة ..من الله ..أما نحن فلا يمكن أن تكون لنا حياة إلا بمدد منه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و نفهم من هذا أن الله فرض الفروض ووضع شرائع العبادات من أجلنا و ليس من أجل أن يشعر و في غنى عن أن يطلب منا طلبا أو يفرض ..و في غنى عن أن يعذبنا ..فهو في غنى عنا .بألوهيته علينا فرضا.

[النساء] (((147) ..مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ))

.لا مصلحة لله في تعذيب خلقه و لا حاجة له في ذلك

و هو بالفعل لا يفرض علينا فرضا و لا يطالبنا بطلب و لا يقيم علينا عذابا، كل هذا يبدو من ظاهر أما باطن القرآن الذي يكشف نفسه لكل من جاهد في الفهم، إن الله هو الرحيم مطلق .العبارات فقط .الرحمة، العادل مطلق العدل الذي يعطي مطلق العطاء و لا يأخذ شيئا و لا يحتاج لشيء

.و إذا كان في الدنيا ألوان من العذاب فهي من عيون رحمته

[السجدة] (((21)وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))

.إنها محاولات لإيقاظ العقل الغافل لعله يتذكر و يرجع و ينجو بنفسه من عذاب أكبر في الطريق .حينما تحق على كل واحد رتبته و درجته .عذاب لن يكون منه مخرج و لا مهرب

و نفهم من القرآن أن سنة الله أن يوقظ الغافلين في الأرض فيبتليهم بكل صنوف البؤس و المرض و يفعل هذا رحمة بهم و ..العذاب لعلهم يفطنون إلى ما في الدنيا من زوال و ما وراءها من حقيقة باقية حتى إذا نفذت فيهم كل هذه الآلام الدنيوية و لم ..لأنه يعلم ما ينتظرهم من ناموس عادل لن يلطف بهم .و حقت عليهم كلمته بالهلاك في الآخرة ..فتح الله عليهم أبواب كنوزه ليتمتعوا ..يتيقظوا

فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ (42)وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)) فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ (43)بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ الأنعام] (((44)فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ]

:فما يبدو لنا أنه نعمة قد يكون في الحقيقة نقمة

فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ)) [التوبة] (((55)كَافِرُونَ

(((56)نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (55)أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ)) [المؤمنون]

[آل عمران] (((178)إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ))

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و لا عذاب الدنيا ..فليس الخير الظاهر في الدنيا و النعمة الغامرة بعلامة رضا الله في جميع الأحوال و لا يكشف ..فقد يكون الخير غضبا و قد يكون البلاء لطفا ..و بلائها بعلامة غضب الله في كل حال و إذا رأيت النعمة تطغيك ..إذا رأيت البلاء يطهرك فهو نعمة ..لك عن الحقيقة إلا صوت ضميرك فهي غضب.

ثم يتكلم القرآن عن أهل الجحيم:

((وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (96)إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (97))) [يونس]

و إنهم إذ ينزل بهم عذاب الجحيم ليصطرخون متوسلين:

((يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ ..(27))) [الأنعام]

((وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28))) [الأنعام]

إن الله يعلم أنهم لو ردوا للدنيا لعادوا إلى كبريائهم.

..لا الأنبياء و لا المعجزات و لا الخوارق و الآيات ..إنه جهل و إصرار على الجهل لا وسيلة لعلاجه و لا حتى مرورهم على الجحيم بكاف لردهم إلى معرفة.

و من هنا يبدو البقاء في الجحيم رحمة، فهو بالنسبة لبعض الجبارين الوسيلة الوحيدة إلى المعرفة و التقويم.

أي الرحيم مطلق الرحمة في ..((الرحمن))و لهذا سمى نفسه ..إن الله رحيم دائما حتى في جحيمه يرحم من يستحق بالجنة و يرحم من لا يستحق بالجحيم ..جميع الأحوال لمن يستحق و من لا يستحق فالجحيم كما رأينا هو تعريف لمن لا يعرف و لمن فشلت معه كل وسائل التعريف فهو نوع من .. الرحمة..و لهذا يقول في أجمل آياته:

((عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (156))) [الأعراف]

فأدخل عذابه ضمن رحمته التي وسعت كل شيء، و يفسر لنا الحساب فيقول:

((اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14))) [الإسراء]

و الحساب هنا يبدو أنه حساب النفس للنفس و تنكيل النفس بالنفس و مواجهة النفس للنفس.

و نفذ العدل الأزلي ..و حق القول ..لقد لزم كل واحد عمله كظله و لا خلاص.

و لكن هذه المعاني تضيع في النظرة المتعجلة و القراءة السطحية و الوقوف عند الحروف و عند

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جلجلة الألفاظ.

تقرع الآذان ..و الألفاظ التي وصف الله بها القيامة كلها ألفاظ رهيبة ذات جلجلة و صلصلة كالأجراس، فهي الساعة، و الواقعة، و القارعة، و الزلزلة، و الدمدمة، و الغاشية، و الراجفة، و الرادفة، و الزجرة، و السكرة، و الطامة، و الحاقة، و الصاخة.

هل سمعت لفظا اسمه ((الصاخة))؟!

لأن الله علم أن الواحد منا في هذه الدنيا تتخطفه الشهوات و تبرق في ..إنه لفظ يخرق طبلة الأذن و هو أصم لا يسمع ..عينيه المطامع فهو لا يعقل.

التي تكاد تخرق السمع من فرط ارتفاع ذبذبتها ليوقظه ..فهتف في أذنه بهذه الكلمة:

[عبس] (((35)وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (34)يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (33)فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ))

تعالى الله عن أن يعذبنا شهوة في عذاب ..فعل هذا رحمة و لطفا و حنانا.

و ما العذاب إلا لزوم ما يلزم و حلول الصفة بموصوفها و انتظام الأرواح في سلم درجاتها الحق و انسدال الستار على هذا العالم الذي يتبارى فيه الناس على نوال ما لا يستحقون.

من تفاوت المستويات ..و نعطي مثلا لهذا التفاوت في الرتب فيما يشعر به كل منا في حياته الخاصة نقصد المستويات ..و إنما نقصد شيئا أعمق ..لا نقصد مستويات الدخل ..التي يمكن أن يعيش فيها الوجودية ذاتها.

فالواحد منا يمكن أن يعيش على مستوى متطلبات جسده، كل همه أن يأكل و يشرب و يضاجع كالبهيمة.

و يمكن أن يسكت ذلك السعار الجسدي ليستسلم لسعار آخر هو سعار النفس بين غيرة و حسد و غضب و شماتة و رغبة في السيطرة و جوع للظهور و تعطش للشهرة و استئثار لأسباب القوة بتكديس الأموال و الممتلكات و تربص لاصطياد المناصب.

و أكثر الناس لا يرتفعون عن هذه الدرجة و يموتون عليها و لا يكون العقل عندهم إلا وسيلة احتيال لبلوغ هذه الاسباب.

و الحياة بالنسبة لهذه الكثرة من الناس غابة و الشعور الطبيعي هو العدوان و تنازع البقاء و الصراع و الواحد منهم تجده يتأرجح ..و الهدف هو التهام كل ما يمكن التهامه و انتهاز ما يمكن انتهازه .. يسلمه مطمع إلى مطمع و هو في ضرام من هذه ..كالبندول من لهيب رغبة إلى لهيب رغبة أخرى الرغبات لا ينتهي.

و هناك قلة قليلة تكتشف زيف هذه الحياة و تصحو على إدراك واضح بأن هذا اللون من الحياة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و أنها كانت حياة أشبه بالسخرة و الأشغال الشاقة خضوعا لغرائز همجية لا تشبع ..عبودية لا حرية .كلها إلى زوال ..و أطماع لا مضمون لها و لا معنى و لا قيمة

فتبدأ هذه القلة القليلة في إسكات هذا الصوت و في تكبيل هذه النفس الهائجة، و قد اكتشفت أنها حجاب .على الرؤية و تشويش على الفهم

و تحب لا أن ..هو أن تعطي لا أن تأخذ ..و هكذا ترتفع هذه القلة القليلة في الرتبة لتعيش بمنطق آخر .و تصبح هموم هذه القلة هي إدراك الحقيقة ..تكره

و على هذه القلة تنزل سكينة القلب فيتذكر الواحد منهم ماضيه حينما كان عبدا لسعار نفسه و كأنه !خارج من جحيم

و مثل هؤلاء يموتون و قد انعتقوا من وهم النفس و الجسد و بلغوا خلاصهم الروحي و أيقنوا حقيقة .ذواتهم كأرواح كانت تبتلى في تجربة

و النفس بالنار و الروح بالنور و هي مجرد ألفاظ للتقريب ..بالتراب –في الرتبة –و ما أشبه الجسد و أن كل من يموت على رتبة يبعث عليها و ..و لكنها تكشف لنا أن حكاية الرتب هي حكاية حقيقية .. و قد يكون العذاب فوق الوصف إذا تجردت النفوس من ..أن هذا هو عين العدل و ليس تجبرا أجسادها الترابية و لم يبق منها إلا سعار خالص و جوع بحت و اضطرام مطلق برغبات لا ترتوي على عكس أرواح ..ثم عدوان بين نفوس شرسة لا هدنة بينها و لا سلام و لا مصالحة إلى الأبد .تتعايش في محبة و تتأمل الحق في عالم ملكوتي

أكاد أجزم بأن ألفاظ القرآن بما فيها من جلجلة و صلصلة حينما تصف الجحيم إنما هي نذير حقيقي و ..بعذاب فوق التصور و سوف نعذبه لأنفسنا بأنفسنا عدلا و صدقا على رتبة استحقها كل منا بعمله .لا ريب فيها ..أكاد أضع يدي على الحقيقة

.و هو الحق العدل الحكم ..تعالى الله عن أن يعذبنا شهوة في عذاب

:و في أخبار داود أن الله قال له

يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن أحبني و جليس لمن جالسني و صاحب لمن صاحبني و)) من طلبني بالحق وجدني و من طلب غيري لم ..و مطيع لمن أطاعني ..مختار لمن اختارني .((يجدني

.و تقدس و تعالى عن الظلم و العدوان ..أنعم به من رب رحيم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحلال و الحرام

.التحريم في القرآن ليس لمجرد التحريم

.و لا التحليل لمجرد التحليل

:و إنما هو تحليل لكل ما هو طيب و تحريم لكل ما هو خبيث

[الأعراف] (((157) ..وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ))

.الله حرم الضار الخبيث

.و أحل الطيب النافع

.لم يصدر الأمر تسلطا و معاقبة و تضييقا على الناس

.و إنما أقام شريعته محبة و رحمة

.إذا لم نفهم هذه الحقيقة الجوهرية فسوف نتوه في حرفيات لا آخر لها و تضيع منا روح القرآن كلية

:و على سبيل المثال نأخذ هذه الآية

[النور] (((30) ..قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ))

[النور] (((31) ..وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ))

لو أخذنا الآية بظاهر حروفها دون أن نحاول أن نتدبر حكمتها سوف يخيل لنا أن فيها تضييقا علينا كيف يخلق لنا الجمال ثم ..كيف يخلق لنا الله العيون و النواظر ثم يقول لنا لا تنظروا ..بدون مبرر .يقول غضوا البصر

و لو تدبرنا الآية لاكتشفنا أن هذا الأمر هو غاية الرحمة و غاية اللطف و أنه استنقاذ للإنسان من .العبودية و من الأغلال و ليس استبدادا به أو تضييقا عليه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و العين إذا نظرت إلى الوجه الجميل سُجنت فيه و ..و التعلق حبس ..فالنظر هو السبيل إلى التعلق و الله يريد لنا الحرية و الانعتاق، و لا انعتاق إلا بأن نتجاوز المحسوسات الجميلة ..سجنت معه نفسها ..ناظرين إلى خالقها و بهذا ترفعنا نظرتنا إلى مقام القرب و المعية مع الله و هو مقام الحرية المطلقة

هل سنتصرف بالفطرة السليمة فنتجه بذوقنا السليم ..و ما خلق لنا الله الإغراء الدنيوي إلا ليختبرنا إلى الجمال الأعظم إلى جمال الله و وجهه أو سنقف عند الجمال الحسي الأصغر و نلتصق به و نسجن أنفسنا فيه مدللين بذلك على فساد ذوقنا و انحراف فطرتنا.

..إن المسألة ليست مجرد نظرة إلى وجه جميل

إنها نظرة ما تلبث أن تعقبها رغبة ثم شهوة ثم مشروع لإشباع تلك الشهوة و امتلاك تلك المرأة أو هذا الصدر أو هذا الظهر.

و تتخطف العقل الشهوات فيفقد الإنسان هدفه و ينسى وجهته و يتشتت و يأخذ سبيله وراء هذا الصدر العريان و ينسى المشوار الذي كان يسعى إليه.

و إلى عبد ..مثل هذا الإنسان قد فقد حريته و هبط من ذروة إنسانية إلى حالة أشبه بحالة كلب يتشمم و إلى عقل مغلول في الشهوة يفكر ..أسير لا يعرف لنفسه خلاصا من هاتين الساقين أو هذا الظهر في اللهط و يسيل لعابه و تخرج عيناه من محجريهما جموحا و شهوة و يفقد السيطرة على نفسه و لا ..و تجري رجلاه المرتعشتان وراء اللحم الأبيض ..ينسى المصلحة التي جاءت به إلى المكان يعرف كيف يحكمها.

مثل هذه الحالة من الهبوط قد تنتهي بصاحبها إلى صفعة على صدغه تفيقه أو إلى محضر في بوليس أو إلى قصة تبدأ بدقائق لذيذة ثم تنتهي بحادث نشل أو إلى علاقة جنسية تنتهي إلى مستشفى ..الآداب الحوض المرصود لعلاج مرض سري مزمن.

و حكمة الآية القرآنية واضحة في مثل هذا النوع من النظر.

لأنه ضرر ..و الذوق السليم ينفر بالفطرة و يعف عن مثل هذا التحديق.

و لهذا أمر القرآن المرأة المؤمنة بأن تدني عليها جلبابها ابتعادا عن مزالق الإثارة و الاستثارة.

و هنا نصل إلى جوهر التحريم.

فالتحريم دائما لضرر.

و الله أقام شريعته محبة و رحمة لا تسلطا و غطرسة.

و إشفاقا من العواقب و وقاية من ضعفنا الطبيعي ..و من هنا كان لابد من غض البصر تفاديا للضرر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

..المركب في أجسادنا

.و غض البصر ليس فقط غض البصر عما يتعرى من الجسد

و إنما هو أيضا غض للبصر عما في يد الناس من مال و نعمة، و هو الحياء و الترفع عن النزول .بالنفس إلى مواطن الشهوة و الحسد و الحقد و الغيرة

و تأخذ ..و أن تميل مع الهوى ..أن تتعصب لنفسك أو عائلتك ..و من أكبر الذنوب عند الله التعصب .حمية من العنصرية و كبرياء العرق و الجنس

و جوهر الدين هو أن .يعبد فهمه المحدود و ليس الله فهو مشرك ..و المتعصب إنسان يعبد نفسه تتجاوز نفسك و تتخطاها و تنكرها و تكبح شهواتك و تلجم أهواءك و تتحرر من أطماعك و تطلعاتك .فكل هذه أغلال و الدين يحرمها ليخلصك من أسرها ..و تتخلص من غرورك و كبرك و عنادك

.أو عبادة غير الله ..و أبغض الحرام إلى الله الشرك

.و الشرك ليس فقط عبادة الأصنام فهذا لون قديم ساذج من الشرك انتهى أمره

.(هبل)و (العزى)و (اللات)و الأصنام الآن هي غير

.و أخطر الأصنام هي الأصنام المجردة و هي ما يعبد الآن في كل مكان

.أن تعبد رأيك و هواك و مصلحتك فلا يشغلك إلا نفسك ..أن تتخذ نفسك صنما

[الجاثية] (((23) ..أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ))

.و هذا هو إله اليوم الذي يُحرق له البخور و تُقدم له القرابين من دم الآخرين

و ما الضرر ؟ ما الضرر في أن يعبد الإنسان :و نقول ..و سوف نعود إلى ميزان الحرام و الحلال نفسه و لا يرى غير مصلحته ؟

.فلن تكون حياة مثل هذا الإنسان حياة ..و الضرر واضح بيّن

.سوف يقضي حياته في سجن من المرايا كلما تطلع إلى جدار لم ير فيه إلا صورته

و لن تصل إلى أذنيه آلام الآخرين لأنه لا يرى إلا نفسه و ما ..سوف يكذب و يسرق و يقتل و يستغل .يكسب و ما يربح و ما يرفع من عقار و ما يقتني من أرض و ما يكدس من مال

.سوف تصبح نفسه حجابا بينه و بين الله و حجابا بينه و بين الحقيقة، و حجابا بينه و بين العدل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و عن مثل هؤلاء يقول القرآن:

[يس] (((9)وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ))

إلا ..و ما السد الذي بين يديك و من خلفك و محيط بك لدرجة تحول بينك و بين الإبصار كأنه غشاوة نفسك.

و يقول في سورة أخرى:

[البلد] (((13)فَكُّ رَقَبَةٍ (12)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (11)فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ))

ليحضك على التساؤل و التفكير في تلك العقبة فأمرها يغمض ((و ما أدراك ما العقبة)) ..يقول لك و لا عقبة أمامك سوى نفسك و عليك أن تقتحمها لتستطيع أن تفعل أي ..لأنها هي نفسك ذاتها ..عليك و لن تستطيع أن تفك رقبة من تستعبد إلا إذا فطنت إلى استعباد ..خير فتفك رقبة من تستغل و تستعبد فلن تستطيع أن تحرر إنسانا إلا إذا بدأت فحررت نفسك أولاً ..نفسك لك و فككت عنك أغلالها.

سوف تستطيع أن تحب و تعطي و تجود و تمنح ..و بعد ذلك سوف تجد أن أي خير سيصبح ممكنا.

و لهذا تقرأ في القرآن:

[التوبة] (((111) ..إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ))

[البقرة] (((54) ..فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ))

بمعنى فاهزموا أنفسكم و انتصروا عليها.

و في الإنجيل يقول المسيح بالمعنى نفسه:

و من يهلك نفسه من أجلي يجدها، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح .من أراد أن يخلص نفسه يهلكها)) العالم كله و خسر نفسه)).

و يقول الله لداود:

و أعلم أنه ..ضعني بين عينيك و انظر إلي ببصر قلبك ..اقطع شهوتك و تحبب إلي بمعاداة نفسك)) ما اطمأن عبد إلى نفسه إلا و كلته إليها فأهلكته)).

و يسأل داود ربه ((يارب كيف أصل إليك ؟))فيقول له ربه ((اترك نفسك و تعال)).

و يقول الله لموسى:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[طه] (((12)فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى))

فلا يمكن الوقوف في حضرة الله إلا بخلع النفس و الجسد و خلع شواغل النفس و شواغل الجسد كشرط للوصول.

لأنه ..و لهذا كان الشرك الخفي الذي يمارسه الإنسان بعبادته نفسه هو منتهى الحرام و ذروة الخطيئة يحتوي على جميع الخطايا الأخرى في داخله و لأنه هلاك لا هلاك بعده.

إذا كنت عبدا لنفسك و هواك و مصلحتك فأنت مشرك، و إذا كنت ..و كل ما تعبد من دون الله شرك و إذا استعبدتك فكرة مجردة أو ..عبدا لعصبية العائلة أو القبيلة أو العنصر أو الجنس فأنت مشرك نظرية أفسدت عليك مسالك تفكيرك فأصبحت ترفض مناقشة أي فكرة أخرى فأنت راكع أمام صنم و إن كان صنماً مجرداً و منحوتاً من الفلسفة لا من المادة.

و لهذا اعتبر القرآن الشرك خطيئة لا تغتفر لأنه عمى للعين و البصيرة و العقل و شلل لجميع المدارك و توقف لنمو الروح و تعطيل لها في هجرتها إلى منبع نورها.

[النساء] (((48) ..إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء))

..لأن الشرك في الحقيقة أشبه بانقطاع الحبل السري الذي يفصم الصلة بين الجنين و مصدر حياته بين الإنسان و الله.

و ماذا يحدث لو أن زهرة عباد الشمس انصرفت عن الشمس و أعطت ظهرها لها و اتجهت إلى و إنما لأن ..و هي لا تعبد الشمس ذلاً ..فالشمس هي مصدر حياتها ..إنها ببساطة تموت ..القمر مثلا الشمس حياتها.

[الأنفال] (((24) ..يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ))

و العبادة حياة و استمداد للنور و الحق.

و لم يأمر بها تسلطاً و تجبراً و لمجرد فرض أوامر ..و الله أمر بالعبادة لأنه يعلم أن فيها حياتنا.

و لهذه الأسباب حرم الله الخمر و ما في حكمها من المسكرات و المغيبات لما فيها من أضرار.

و حرم القمار لما فيه من خسارة و تباغض و عدوان.

و تخضع فيه النفوس للنزوات و الشهوات و الأهواء ..و حرم الزنا لأنه فوضى تختلط فيه الأنساب.

و أحل الزواج لأنه تنظيم و نظام و مسئولية و سكينة قلب.

و نحن نعلم الآن أن حيوان الخنزير هو مستودع فيروس الإنفلونزا و الدودة .و حرم لحم الخنزير

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.الشريطية، و أنه أغلظ أنواع البروتين و أشدها تعقيداً، و أنه يربي قساوة القلب

و لو ألقينا نظرة على الحيوانات آكلة الخضروات كالغزال و الأرنب و الحصان و الجمل و الدجاج و أما الحيوانات آكلة اللحوم كالسباع و النمور و الضباع و ..الحمار للاحظنا أنها كلها رقيقة وديعة .فكلها تشترك في صفات القسوة و الوحشية و الضراوة ..الذئاب و الثعالب و النسور و الصقور

مثل الحدة ..و نشأة صفات خاصة في النفس ..و لا شك أن هناك علاقة بين الإسراف في اللحم كطعام .و الصرامة و القسوة

و لأن لحم الخنزير هو أكثر اللحوم غلظة و أعقد البروتينات الحيوانية تركيباً فربما كان ضرره على .و الله يعلم و نحن لا نعلم ..آكله أبلغ من جميع اللحوم الأخرى

.و الله هو العقل الكلي المحيط و هو لا يضع سنة بلا سبب

.محبة منه و رحمة ..و لقد أقام التشريع و حرم الحرام و أحل الحلال و فرض العبادة

.فهي روح الناموس و قلب الشرائع ..و يجب ألا تفوتنا هذه الحقيقة لحظة واحدة

.و لذلك حرم الله السرقة و حرم القتل

مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ)) [المائدة] (((32) ..جَمِيعًا

لهذا اعتبره الله قتلاً للناس جميعاً ..لأن قتل الإنسان لأخيه الإنسان بلا ذنب هو خرق لجميع النواميس .

.و حرم الانتحار

..وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا (29)وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)) [النساء] (((30)

لأن الانتحار هو منتهى سوء الظن بالله و العمى عن رحمته و اليأس من عدالته و الخرق لنواميسه و .الجهل بآخرته، و هو منتهى الظلم للنفس

الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ)) [الفتح] (((6)مَصِيرًا

.و الله حرم الزنا لأنه ضرر

و ما الضرر؟ :باريسي متحرر يقول (مودرن)و هنا سوف يطلع علينا رأي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أين الضرر في اثنين يتبادلان لذة بدون زواج لكن بتراض وراء جدران مغلقة و بعيداً عن العيون لا و لا يؤذيان بعملهما .فما يفعلانه يقومان به حباً و وجداً و غراماً ..يكذبان على نفسيهما في شيء أين الضرر هنا ؟ ..مخلوقاً

.و لنفهم الضرر لابد أن نضع الحب و الجنس في إطارهما الطبيعي حيث إرادتهما الطبيعية

.و الطبيعة جعلت من العاطفة و الجنس في إطارهما الطبيعي حيث إرادتهما الطبيعية

و جعلت ..و الطبيعة جعلت من العاطفة و الجنس وسائل للتكاثر و الإبقاء على النوع و عمار الدنيا .منهما أدوات إنتاج

و إنما ..فإذا اجتمع رجل و امرأة و اعتزلا ركناً يتبادلان اللذة بدون تفكير في زواج أو بناء بيت فإنهما يحولان الحب و الجنس من أدوات إنتاج إلى أدوات استهلاك و ..لمجرد اختلاس متعة يستهلكان طاقة من أشرف الطاقات الحية خلقت لتبني أمماً و حضارات و يجعلان منها مجرد وسيلة .إلى ارتجافات جنسية

إننا اجتمعنا :فإنهما يقولان الشيء نفسه، سوف يقولان ..و حينما يجتمع رجلان على شذوذ جنسي .و إننا لا نضر أحداً، و إننا نستمتع و لا نؤذي أحداً ..على حب و رضا

و الشذوذ واحد في الحالين إذا أخذنا القوانين الكونية بعين الاعتبار و نظرنا نظرة شاملة إلى فكلا الحالين انحراف بالطاقة الطبيعية عن أهدافها لمجرد دقائق من الارتجافات الجنسية ..الموضوع المدلهان حباً و ..و في درجة المخالفة للنواميس الطبيعية ..و الفرق هو فرق في درجة البشاعة .. و يتعلل كل منهما بأنه صادق مع نفسه فيما يفعل ..هوى، اللذان يرتمي الواحد منهما في حضن الآخر .هما في الحقيقة كاذبان ..

.لأن صدق الإنسان مع نفسه لا يكون صدقاً حقيقياً إلا إذا كان بالمثل صدقاً مع الطبع و الطبيعة

و ليكون الإنسان صادقاً مع نفسه لابد أن يكون صادقاً مع طبيعته و مع النواميس الكونية العظيمة و ..التي جاءت به إلى الدنيا، و إلا انقسم و انفصم و انشق على نفسه و تحول إلى جسد في ناحية .روح في ناحية

أريد أن أعيش معك العمر :و إنما تقول له .أريد أن أنام معك :لا تقول له ..و التي تحب رجلاً بحق .أريدك أن تكون أباً لأولادي و سقفاً لبيتي و شرفاً لاسمي و رفيقاً مصاحباً لرحلة حياتي كلها .كله

بل إن ..و هي خاطئة و إن ادعت لنفسها أنها جولييت .و إذا لم تفعل هذا فإنها تكذب على نفسها أما هي فقد ابتذلت أشرف ما ..الخاطئة التي تبيع عرضها لحاجتها إلى اللقمة سوف تتعلل بعذر الجوع أعطتها الطبيعة بدون دوافع سوى تشنجات و رعشات عابرة و تلك الحكة التي تبحث عن مهدئ بين لا ..لأن حب المرأة يريد الرجل أباً لأبنائها و سقفاً لبيتها ..و هو كذب ..وقت و آخر بحجة الحب .مجرد دواء مؤقت للحكة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و إلى انفصام ..و الزنا إذا تحول إلى عادة ثم إلى سلوك و منهج حياة يؤدي إلى التفسخ الكامل للكيان و بهذا يتم تخريب ..و الروح في ناحية ..فيصبح الجسد في ناحية و القلب في ناحية ..الشخصية و لهذا نقرأ في الإحصاءات أن أعلى نسبة للجنون و ..الفطرة، و هذا هو الضرر غاية الضرر و ..الانتحار تحدث في السويد و في روسيا برغم السعادة الجنسية و عدم الكبت و التحلل غاية التحلل السبب هو ذلك الانفصام الذي يحدث للإنسان المتحلل في أعماق روحه فيفقده السلام الداخلي إلى الأبد.

و هكذا تأتي التعاليم الدينية لحكمة و أسباب لا مجرد رغبة الله في التسلط على خلقه و إنما محبة و رحمة و تنبيها إلى فائدة.

و يحرم الدين الزواج بين الأخوات، و بين الأم و ابنها، و الأب و ابنته لأنه يريد أن تنمو في الأسرة و أن يكون الرباط ..كالأمومة و الأبوة و الأخوة و المودة ..ألوان أخرى من العاطفة غير الشهوة أما ضرام الشهوات فهو يضرم معه الغيرة و ..(لأنه هو الرباط الوحيد الباقي)الأسري هو التراحم الرغبة في التملك فيقتتل الإخوة على أختهم و تتفجر الأسرة من داخلها و تنهار.

هذا غير الأمراض الوراثية التي تصيب النطفة بسبب زواج الأخوات.

و لم يحب له إلا كل ما هو محبوب ..لم يكره الله للإنسان إلا كل ما هو كريه بالفعل.

و لذا جعل الطلاق مكروها لكنه ممكن إذا استحالت الحياة و جعل الكذب كبيرة الكبائر.

[الصف] (((3)كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))

و الكذب على الله غاية الإثم.

[الأنعام] (((21) ..وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا))

هو ..فيكون إدعاء النبوة كذبا و التحريف في الكتب المقدسة زعما بأن آيات نزلت و هي لم تنزل لأنه الإضرار و التضليل للناس ..منتهى الحرام.

إن الله أحل الطيبات و حرم الخبائث، و إذا تطهرت فطرتنا فسوف ..هذه هي الشريعة و هذه روحها نحب لنفوسنا ما يحب لها الله بدون جهد و بدون مشقة.

و لهذا يزول التناقض في قلب المؤمن بين الله و شريعته و بين ما تمليه عاطفته الخاصة و يرغب فيه و ما يتمناه لنفسه هو ما يتمناه الله له ..فإذا بما يريده لنفسه هو ما يريده الله له ..عقله.

و لهذا يتوجه إبراهيم بالدعاء قائلاً:

[إبراهيم] (((40) ..رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ))

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.فيطلب من الله ما يطلبه الله منه

.حتى لتصبح الشريعة و الرغبة شيئاً واحداً ..و هذا غاية الإيمان و الثقة و منتهى الحب للشريعة

.و لا تعود للإنسان رغبة سوى ما يرغب الله

.و هذا درب الذين وصلوا

:يقول الله في حديث قدسي

عبدي اطعني أجعلك ربانياً يدك يدي و لسانك لساني و بصرك بصري و إرادتك إرادتي و رغبتك)) .((رغبتي

.و هؤلاء هم الأنبياء و الأولياء و المقربون الذين أمدهم الله بأسباب علمه و قدرته

العلم و العمل

.((اقرأ))أول ما نزل من القرآن هي كلمة

[العلق] (((1)اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ))

.إنه أول أمر إلهي نزل في الإسلام

.أمر لكل إنسان بأن يقرأ

:قبل الأمر بالصلاة و الصيام و قبل تفصيل الشرائع و قبل الكلام عن العقيدة قال الله

.((اقرأ))

و هذا منتهى التشريف ..و انفرد القرآن بين جميع الكتب المقدسة بأنه ابتدأ بهذه الكلمة و هذا الأمر و الآية حددت نوع ..أن يكون أول حرف في الدين هو أمر بالقراءة و طلب العلم ..للعلم و العلماء :العلم المقصود

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[العلق] (((1)اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ))

.علم للنفع و ليس علماً للضرر ..علم خير فاضل ..فهو علم بالله و لله

:و توالت بعد ذلك الآيات التي تأمر بالعلم و تحض عليه

[طه] (((114)وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا))

[العنكبوت] (((20) ..قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ))

[المجادلة] (((11) ..يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ))

[الزمر] (((9) ..قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ))

[آل عمران] (((18) ..شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلآئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ))

فجعل الله أولي العلم إلى جواره مع الملائكة المقربين من حيث قيمة شهادتهم و هذا منتهى ما يحلم به .أن يذكر مع الله و ملائكته ..الإنسان من رفعة المقام

و تتكرر كلمة العلم و مشتقاته في القرآن نحو ثمانمائة و خمسين مرة و يقسم الله بالقلم و ما يسطر به [القلم] (((1)ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ))

.و لكنه ليس علماً نظرياً فارغاً و إنما علم مقرون بالعمل

[التوبة] (((105) ..وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ))

الذين آمنوا و))يقرن هذا الإيمان بالعمل فيقول ((الذين آمنوا))و في كل مكان يتكلم فيه القرآن عن .في عشرات الآيات يتكرر هذا التقارن و التلازم ((عملوا الصالحات

و أن الأعمال ..و هو تكرار مقصود به أن يثبت تماما في الذهن أنه لا إيمان إلا بالعمل و مع العمل هي التي تفصح عن دخائل القلوب و هي التي تبرهن على فضيلة الفاضل و طاعة المطيع و إحسان .المحسن

و لأن أول أمر في القرآن و في الإسلام هو أمر صريح بالقراءة و التعلم فلا يصح أن يدعي الإسلام .جاهل لا يقرأ مهما صلى و صام و حمل المسابح و حوقل و بسمل و رتل

فلا هو يقرأ و لا هو ..و الشرق العربي الآن بما فيه من جهل و كسل هو كافر بأوليات كتابه و دينه .و بدل العلم و العمل لا نرى حولنا إلا الجهل و الكسل ..يتعلم و لا هو يعمل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و كل واحد يتصور أنه من أهل الجنة لمجرد أن اسمه في بطاقة تحقيق الشخصية محمد و أنه مسلم بالوراثة و أنه يقتني مصحفاً.

و أنه لا يقرأ ..((اقرأ))و ينسى أن أول كلمة في هذا المصحف هي..

و أن الله يقول:

[التوبة] (((105) ..وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ))

و أنه لا يعمل و إنما يتمدد على المقاهي يتثاءب.

بل إن العالم الغربي الأوربي بما فيه من علم و عمل و فكر و نشاط دائب خلاق هو أقرب لجوهر الإسلام و جوهر القرآن من هذا الشرق الكسول المتخاذل الغارق لأذنيه في الجهل المزري.

علينا أن نفهم القرآن قبل أن ندعي أننا من أهل القرآن.

و الذين يمسحون كسلهم و جهلهم في عباءة التصوف و يقول الواحد منهم و قد أخلد إلى خلوة فارغة ينسى أن الهجرة إلى الله عند المتصوف لا تكون إلا بالعلم و العمل و أن ..أنا متصوف ..و تأمل خاو فإذا أصبح من ذوي ..المتصوف عليه أولاً أن يطلب العلم فإذا علم كان عليه أن يعمل بما علم فإذا دام له الحال و ثابر على الأعمال انتقل من مقام ..ارتقت به أعماله من حال إلى حال ..الأعمال العلم و العمل و الحال و ..و هذه هي الدرجات التي يتسلق عليها الصوفي كادحاً إلى الله ..إلى مقام المصحف ..و المتصوفون الأوائل كانوا مرابطين يحملون السلاح و يدافعون عن الأوطان ..المقام و الشمال الأفريقي يمتلئ بأضرحة هؤلاء ..في يد و السلاح في يد

المرابطين حيث ماتوا في مرابطهم بعد أن حاربوا لآخر طلقة و آخر شهقة في صدورهم.

إن الشجاعة و الشهامة و الصدق و قتال الباطل و إحقاق الحق و العمل على عمارة الدنيا بالخير و العدل بين الناس و محاربة الاستغلال و نصرة الضعيف هي من صميم الدين بل هي الدين ذاته.

و لكن في البدء دائماً يلزم العلم.

لتعرف الحق من الباطل و لتعرف قوانين العالم الذي تعيش فيه قبل أن تدعي لنفسك ..أولا ((اقرأ)) أنك تستطيع إصلاحه.

و لكن القرآن لا يدعونا إلى القراءة و يتركنا في ظلام الحيرة و إنما يختط لنا منهجاً للوصول إلى العلم هو منهج((السير و النظر)).

[العنكبوت] (((20) ..قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ))

السير و جمع الملاحظات و تدوين المشاهدات ثم النظر في هذه الملاحظات و استقرائها لاستخراج

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعد القرآن بألف سنة ((باكون))و هو المنهج الاستقرائي الذي جاء به ..القانون العام الذي يربطها و لو .و أثمر هذا المنهج على يد العلماء الغربيين كل ما نقرأ و نرى من علوم و صناعات مذهلة .حاولنا أن نتفهم كتابنا و نسير على هديه لسبقناهم إلى هذه العلوم

و قد اهتدت قلة من العلماء العرب إلى هذا المنهج في صدر الإسلام و كان لهم عطاء أثروا به الغرب .و أخصبوا ثقافته في أوقات كان هذا الغرب غارقا في ظلمات قرونه الوسطى

.و نذكر جابر بن حيان في الكيمياء

.و ابن سينا في الطب

.و ابن رشد في الفلسفة

.و ابن عربي في التصوف

.و ابن الهيثم في الهندسة و الرياضيات

.و نذكر الأندلسيين و ما استحدثوه في الموسيقى و الموشحات

و أغلب الكوكبات النجمية مازالت تحتفظ بأسمائها العربية إلى الآن في ..و نذكر علماء الفلك العرب .المراجع الأجنبية

التي أطلقها جابر بن حيان على جهاز التقطير مازالت هي ذاتها مستعملة في ((أنبيق))و كلمة .أي يقطر ambiquerو يشتق منها الفعل ambiqueالفرنسية

.كان هناك علم و عمل إذن .و الأرقام العشرية في الحساب لم يعرفها الغرب إلا عن طريق العرب

و حينما كان هناك علم و عمل كان هناك عطاء و كانت هناك حضارة و قد أعطى القرآن مفتاح هذه .الحضارة

.((اقرأ))

صلى الله –و أول ما كلف الوحي بتبليغه إلى محمد ..و جعل من هذا المفتاح أول ما نزل من حروف و لا –صلى الله عليه و سلم –و من لا يقرأ لا يستحق أن يكون من أمة محمد .و أمته –عليه و سلم .أن يدعي لنفسه أنه يحمل القرآن و يفهمه

.و من يعلم و لا يعمل بما يعلم فهو عاطل عن الفعل و الأثر و الدين

:يقول القرآن عن إبراهيم و هو يبني البيت

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(((127)وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) [البقرة]

.((ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم))العقل يهندس و اليد تبني و القلب يسبح هامساً

.علم و عمل و إيمان و بناء

.هذا هو الدين الحق كما يقدمه القرآن

:و القرآن يتكلم عن المؤمنين العاملين بأحسن الكلمات

[البينة] (((7)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ))

[فصلت] (((33) ..وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا))

:و يؤكد أن الأعمال تحفظ و تكتب و أن الله يلقانا بأعمالنا يوم الحساب

[يونس] (61) ..وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا))

..يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا))
[آل عمران] (((30)

[البقرة] (((167) ..كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ))

[الكهف] (((49)وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا))

و يؤكد القرآن أن الدنيا هي الفرصة الوحيدة لإحراز الأعمال و أنها الامتحان الوحيد الذي لا امتحان
:و يقول عن أهل الجحيم ..بعده

[فاطر] (((37) ..وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ))

.يقولون هذا بعد فوات الأوان

[الأنعام] (((28)وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ))

...انتهى الأمر و لا اعتذار

و يؤكد القرآن أن العمل الصالح الخالي من الإيمان بالله لا يكون عملا صالحا و أن مثل هذه الأعمال
:الصالحة من قلب يجحد خالقه مصيرها البوار

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[الفرقان] (((23)وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا))

:و يقول عن أعمال الكفار الصالحة

[إبراهيم] (((18) ..أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ))

..و قد يسأل سائل كيف يتجرد العمل الصالح عن الصلاح إذا تجرد قلب صاحبه من الإيمان بالله

!؟..كيف لا يكون عمله هذا عملاً صالحاً يثاب عليه ..إذا تبرع الكافر لعمل خيري

و الجواب أن الكافر الذي لا يؤمن بوجود إله سوف يسند كل عمل يقوم به إلى نفسه فيعطي عن اعتقاد أنه هو الذي يعطي و هو الذي يتصدق و هو الذي يرزق و هو الذي يغني ..و هذا هو الزهو و بعكس المؤمن الذي يعطي و ..الاختيال و الغرور بعينه و لا يمكن أن يكون مثل هذا العطاء صلاحاً هو يعتقد أن الله هو الذي ألهمه بالعطاء و أن الله هو الذي وفقه للإحسان و هو الذي أعطاه اليد .و مثل هذا العطاء في تواضع هو الصلاح حقا ..الكريمة و المال الوفير و القلب العطوف

.و يؤكد القرآن أن النية العاطلة عن العمل لا تكفي لتكون شاهدا على إيمان صاحبها

..و إنما لابد من الجهاد بالفعل حيث يواجه الإنسان الشدة و يصبر عليها ..الرغبة في الجهاد لا تكفي :و يواجه الموت و يثبت أمامه

آل] (((142)أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)) [عمران

.و النية التي لا تتحول إلى فعل هي نية ينقصها الصدق

و هي إدعاء بين الإنسان و نفسه أكثر من كونها رغبة حقيقية لأن الرغبة إذا صدقت حفزت إلى عمل .

:و الله يقول لنا إنه لم يخلق الحياة الدنيا إلا لهذا السبب

[الملك] (2) ..الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا))

لقد جعل منها امتحانا يظهر فيه من يعمل و من لا يعمل و تجربة تعرف بها كل نفس مقامها و .حتى إذا حقت عليها الكلمة يوم الحساب كانت هذه الكلمة عدلا مطلقا لا مراء فيه ..مقدارها

:يقول القرآن

[المائدة] (((35) ..يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ))

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

.و الوسيلة إلى الله هي العمل

و نبينا و قدوتنا محمد عليه الصلاة و السلام لم يكن مبلغا للآيات و حاملا للقرآن و مبشرا به فقط و
و كان يجوع مع ..و كان أول من يخرج في الغزوات حاملا سيفه قائدا جيشه ..إنما كان أول العاملين
و في إحدى الغزوات ..و كان أول من يقتحم الأخطار ..جنوده إذا جاعوا و يعطش معهم إذا عطشوا
و قد حارب سبعا و عشرين معركة خاضها جميعا و قد جاوز سن ..نعلم أنه جرح بين من جرحوا
و هو العابد ..فهو النبي المبلغ و الجندي المحارب و القائد المخطط و السياسي الحكيم ..الخمسين
و هو الاب الحنون و الزوج العطوف و الصديق ..و هو الصادق الأمين العف اليد و اللسان ..الزاهد
و هو صاحب الدعوة الذي لا ينام عنها و الذي يحارب لها و يحارب دونها إلى آخر نفس من ..الودود
.أنفاسه الطاهرة

.إنه رمز للعمل الدائب

.و هو دليل كل من يبتغي الوصول، حيث لا وصول إلا بالعمل

.و لا طريق إلا على سلم الأعمال

باقٍ من الكتاب ثمان فصول

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com